

العطش ، فنزعت خفها ، فأوثقته بخمارها ،
 فنزعت له من الماء ، فغفر لها بذلك ")
 (1) ، وعنه أيضا أن النبي ﷺ قال : " إن الشيطان
 عرض لي ، فشدد علي ليقطع الصلاة علي ،
 فأمكنني الله منه فدعته ، ولقد هممت أن
 أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا ، فتنظروا إليه " (2)

والميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد ، قال
 تعالى : ﷻ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ
 وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ
 مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﷻ [الأحزاب/7] ،
 والموثق العهد ، قال تعالى : ﷻ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ
 مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا
 أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﷻ [يوسف/66] .

وقالت عائشة رضي الله عنها ، قال ﷻ : " ما
 بال أناس يشترطون شروطا ليس في كتاب
 الله ، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله ،
 فهو باطل وإن اشترط مائة شرط ، شرط
 الله أحق وأوثق " (3) ، والوثقى تأنيث الأوثق
 والعروة الوثقى في قوله تعالى :

ﷻ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ
 اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﷻ
 [البقرة/256] ، جبل الله المحكم الموثوق ، الذي
 لا ينفك عن عروته والمقصود بها عهد

الإسلام ، الذي ينطق به الإنسان عند إعلانه
كلمة التوحيد _____

- 1 . أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق () () () ()
- 2 . أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة () () () () () .
- 3 . أخرجه البخارى فى كتاب البيوع () () () () () .

بقوله لا إله إلا الله⁽¹⁾ ، وقال كعب بن مالك ()
: " () () () () () ليلة العقبة ، حين
تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها
مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها
" (2)

() () () () () () () () () () :

واصطلاح الثقة عند الصوفية يرد على
المعنى القرآنى ، حيث تعنى ثقة العبد فى ربه
وعهده ، وذلك بتصديق الخبر جزماً ، والاعتماد
على واهب التقوى والقدر والوثوق بقول النبى
() .

روى عن شقيق البلخى (ت: قبل 237هـ) وقد
سئل ؟ ، بأى شئ يعرف بأن العبد واثق بربه ؟
، قال : يعرف بأنه إذا فاته شئ من الدنيا ،
يحسبه غنيمة وإذا أبطأ عليه شئ من الدنيا ،
يكون أحب إليه من أن يأتيه⁽⁴⁾ ، ويذكر لحاتم

- 1 . فتح القدير 1/276 وانظر المفردات ص 512 ،
والقاموس المحيط 1/1197 .
 - 2 . أخرجه البخارى فى كتاب المناقب () () () .
 - 3 . انظر جامع الأصول فى الأولياء ، لأحمد ضياء الدين مصطفى ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصر ، سنة 1331هـ ص 79 ، وقال أبو القاسم القشيري : (العروة الوثقى فى قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة/256] هى الوقوف عند الأمر والنهى ، وهو سلوك طريق المصطفى () ، وطاغوت كل واحد ما يشغله عن ربه ، والإيمان حياة القلب بالله ، لطائف الإشارات 1/198 .
 - 4 . طبقات الصوفية ص 65 .
- الأصم (ت:237هـ) فى ثقة العبد فى رزق الله ، أنه قال : (الواثق من رزقه من لا يفرح بالغنى ولا يهتم بالفقر ولا يبالى أصبح فى عسر أو يسر) (1) .
- والثقة يجعلها يحيى بن معاذ الرازى (ت: 258هـ) من صفات الأولياء ، فروى عنه أنه قال : (الثقة بالله فى كل شئ ، من خصال الأولياء) (2) .
- ويذكر الكاشانى أن الثقة عند الصوفية ، تعنى اعتماد العبد فى كل شئ على الله وحده ، بحيث لا يعتمد فى شئ على شئ سواه ،

والعبد المتحقق بالثقة بالله ، من حصل له إلامن من الخوف مما سوي الله ، والإعراض عن الاعتراض عما قدره الله وقضاه ، ويستدل بقوله تعالى لأم موسى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص/7] ، فلولا حسن الثقة بالله لما استطاعت الوالدة أن تلقى ولدها في لجة الماء (3) .

35- الجنّة

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

1 . السابق ص 94 .

2 . السابق ص 110 .

3 . لطائف الإعلام 1/378 .

﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [الكهف/39] (1) ، وقال عمر بن الخطاب ﴿

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ : " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ : ﴿ أَيَوَّدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ

مِنْ تَخِيلٍ وَأَعْتَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

[البقرة/266] ؟ قالوا الله أعلم : فغضب عمر ﴿

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

الجنة من فضة أنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبر على

الجنة من فضة أنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبر على

1 . المفردات ص 98 ، لسان العرب 13/92 ، ومختار الصحاح 1/ 48 ، والمغرب في ترتيب المعرب ، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز ، تحقيق محمود فاخوري ، و عبدالحميد مختار ، نشر مكتبة أسامة بن زيد ، الطبعة الأولى حلب ، سنة 1979م 1/165 .

2 . أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن / () ()

وجهه في جنة عدن " (1) ، وعن أبي سعيد الخدري () () قال :

(1-) المصطلح المذكور في الأصول القرآنية والنبوية : ...
 ...
 ... (1)

() : ...
 ...
 ...
 ...
 عمله ، قالوا ولا أنت يارسول الله ، قال ولا أنا ،
 إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه " (2) .

وهذه الجنة يطلقون عليها فى الاصطلاح
 الصوفى : جنة الأعمال ، وربما قالوا الجنة
 الصورية (3) ، وهذا ما دلت عليه الأصول القرآنية

(2- الجنة عند الخواص لا خطر لها فى
 قلوبهم ، وهم أبعد الناس عن طلبها

1. لطائف الإعلام 1/395 ، وانظر تنبيه الغافلين
 للسمرقندى ، فى صفة الجنة وأهلها ص 22 ،
 وتفسير القرآن لسهل بن عبد الله ص 9 ، وسلوة
 العارفين وبستان الموحدين للحكيم الترمذى ص
 129 .

2. سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف ص
 356،357 والحديث أخرجه البخارى فى كتاب

الرقاق (6464) عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : "سددوا وقاربوا ، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل " 11/300 .

3. لطائف الإعلام 1/395 .

ونسب لرابعة العدوية (ت:185هـ) من نساء الصوفية ، فى الكشف عن دافعها للعبودية : (ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك ولكن حبا لذاتك) (1) .

ولأبى يزيد البسطامى (ت:261هـ) قال فيما روى عنه : (الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم) (2) ، وينسب لأبى القاسم النصرى (ت:367هـ) : (إذا بدا لك شئ من بوادى الحق ، فلا تلتفت معه إلى جنة ولا إلى نار ، ولا تخطرهما ببالك ، وإذا رجعت عن ذلك الحال فعظم ما عظمه الله تعالى) (3) ، وهذا المعنى محدث لا أصل له ، وإن كان لبعضهم نية حسنة ، كقول النصرى : (الجنة باقية بإبقائه ، وذكره ورحمته لك باق ببقائه ، فشتان بين ما هو باق ببقائه ، وبين ما هو باق بإبقائه) (4) .

فهو يفضل رحمة الله لعبده ، كصفة من صفات الذات ، على الجنة التى هى صفة من صفات الأفعال ، والذى ثبت أن الجنة محل

الرحمة ، فمن أراد الرحمة فلا مناص من الجنة ،
 ، ومن حديث أبي هريرة ؓ :
 " قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت
 رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي

1. صفة الصفوة 2/249 .

2. طبقات الصوفية ص 70 .

3. السابق ص 485 .

4. الرسالة 1/41 .

وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أعذب بك من
 أشياء من عبادي ، ولكل واحدة منهما ملؤها " (1)

(3- الجنة عند خاصة الخاصة : ويسمونها جنة
 الامتنان ، وهى ما يناله أهل الإيمان من عين
 الجود موهبة من الله تعالى ، وهذا مقام من
 تحقق بالإنخلاع عن أحكام الغيرة والأغيار ،
 فاستتر بأعيان سبحات نور الأنوار ، وذلك هو
 التحقيق بحقائق الأسماء الإلهية ، وستر عين
 الذات بستور صور الصفات (2) .

فالنعيم فى جنة الامتنان هو عين الرحمة
 التى يظهر بها الحق فى الكل ، فمنه نعيم
 خالص مختص بأهل الجنان ، ومنه نعيم ممتزج
 بالعذاب ، مختص بأهل جهنم وهذا دائم أبدا لا
 ينقطع نعيم العذاب مطلقا عن الكفار ، بل إن
 أهل النار من لذتهم بالعذاب واستعذابهم له لو

هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به ، فالجنة والنار كلاهما فى اصطلاح أصحاب الوحدة نعيم جنان الخلد ، يقول محى الدين بن عربى (3) :

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والأمر واحد وبينهما
عند التجلى تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه
كالقشر والقشر صاين

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن / () () () () ()

2. لطائف الإعلام 1/395 .
3. فصوص الحكم ص 122،123 ، وانظر فى معنى الجنة عند ابن عربى أيضا الفتوحات 3/442 ، وبلغة الخواص ص 123 .

36- الجوع

وَلَتَبْلُوكُمْ بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الْمُتَّقِينَ

5. اللمع ص 269 وانظر السابق ص 111 .

وقال : (الجوع على أربعة أوجه : للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللصديقين تكرمة)⁽¹⁾ .

ومن طرائف ما يروى عن سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) أن سائلا سأله في حد الجوع ، فقال له : الرجل يأكل في اليوم أكلة ؟ فقال : أكل الصديقين ، قال : فأكلتين ؟ قال : أكل المؤمنين ، قال : فثلاثة ؟ قال : قل لأهلك بينون لك معلفا⁽²⁾ ، ولعل سهلا يقصد بذلك أن الطعام إنما يكون لقوام البدن ، لا لتسمينه فمن اشتغل بالتسمين ، سيشتغل بالبحث عن النوعية الجيدة من الطعام ، ومن ثم البحث عن أسباب الوصول إلي النفقات المطلوبة للحصول عليها ، وغير ذلك مما يشغله عن الله فيصير علفا لا عابدا .

ويذكر المكي (ت:386هـ) أقوال الصوفية في الجوع ، مستندا إلى تفصيل الأدلة في الكتاب والسنة ، ويبين أنهم قد اختلفوا في حد الجوع بين معتدل ومبالغ من ذلك :

(1- حد الجوع الأول من الوقت إلى مثله ، كالغد أربعة وعشرون ساعة وحده الآخر اثنان وسبعون ساعة ، فهذا حد الجوع من الأوقات .

(2- حد الجوع ألا تطلب نفسك الأدم فمتى طلبت نفسك الأدم مع الخبز

1. الرسالة 1/372 ، وانظر فى مفهوم الجوع عند الصوفية ، آداب الطعام والعادات الغذائية عند متصوفة الإسلام ، إعداد محمد عبد المنعم صالح ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1967م .

2. السابق 1/375 .

فلمست جائعا .

(3- حد الجوع أن تطلب الخبز ، فلا تميز بينه وبين غيره ، فمتى تآقت النفس إلى الخبز بعينه ، فليست بجائعة لأن لها شهوة فى التخير .

(4- حد الجوع أن يبزق العبد فإذا لم يقع على مذاقه ذباب ، فقد خلت معدته من الطعام ، ومن ثم خلا مذاقه من الدسومة والدهنية ، وصار صافيا مثل الماء فلا يسقط عليه الذباب⁽¹⁾ .

وقد استدل القشيري (ت:465هـ) على أن الجوع والشهوة ، ابتلاء من الله ووجب على المرء أن يصبر فى مواجهته ، بقوله تعالى : ﴿ وَتَبْلَوْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ [البقرة/155] ، ثم قال فى آخر الآية : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع ، ويقول فى قوله تعالى : ﴿

وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
 خَصَاصَةٌ ۗ [الحشر/9] ، (ولهذا كَانَ الجوع
 من صفات القوم ، وهو أحد أركان المجاهدة ،
 فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع ،
 والإمساك عن الأكل ، ووجدوا ينابيع الحكمة فى
 الجوع) (2) .

1. قوت القلوب 2/165 .

2. الرسالة 1/372 ، انظر المزيد عن مصطلح الجوع
 ، أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة
 الصوفية ، للشيخ محمود خطاب السبكي ، تحقيق
 سعيد عبد الفتاح سنة 1996م ص 59 .

وينبغى أن نفرق فيما سبق بين الجوع
 والتجوع ، لأن الأصول القرآنية والنبوية
 أمرت بالصبر على الجوع ، كابتلاء لا حيلة
 للإنسان فيه ، ولم تأمر بتجوع النفس وتعذيب
 البدن ، طلبا للحكمة والمعرفة ، فالذى دل
 عليه القرآن والسنة ، أن المسلم لا يكثر من
 الأكل المفوت للخير الكثير ، فقد يكون الأكل
 واجبا بقدر ما تقوم به البنية ، ومندوبا بقدر
 الشبع الشرعى المقوى له على التنفل ،
 وجائز وهو ما فوقه بحيث لا يورث فتورا عن
 العبادة ، ومن ثم فإن مثل ما يروى عن أبى
 عثمان المغربى (ت:373هـ) أنه قال : (الربانى
 لا يأكل فى أربعين يوما ، والصمدانى فى

؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ،
وأرسلت علينا الشهب " (1) .

2- الحال : ما يختص به الإنسان وغيره ، من
أموره المتغيرة في نفسه وجسمه فباعتبار
التغير ، قيل : حال الشيء يحول حولاً ، واستحال
تهياً لأن يحول ، وفي السنة عن عبد الله بن
عمر ؓ قال : " رأيت الناس
مجتمعين في صعيد ، فقام أبو بكر فنزع ذنوبا
أو ذنوبين ، وفي بعض نزع ضعف ، والله يغفر
له ، ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غربا ، فلم
أر عبقريا في الناس ، يفري فريه حتى ضرب
الناس بعطن " (2) .

3- الحال : تستعمل في بقاء الصفة التي عليها
الموصوف ، فمن ذلك ما روى عن سهل بن
سعد ؓ قال : " فنظر النبي ﷺ
من أحب أن ينظر إلى رجل من

1. أخرجه البخاري في كتاب الأذان / (ص ١١١) .

2. أخرجه البخاري في كتاب المناقب / (ص ١١١) .

أهل النار فلينظر إلى هذا ، فاتبعه رجل من
القوم ، وهو على تلك الحال من أشد الناس
على المشركين حتى جرح ، فاستعجل الموت ،
فجعل ذبابة سيفه بين ثديه حتى خرج من بين
كتفيه " (1) .

كذا ويعنون تثبيت تلك الصفة عليه بعد أن كانت تحول وتزول عنه لظهور صفات النفس وغلبتها عليه⁽¹⁾ .

وقد تنوعت تعبيراتهم في تعريف الحال ، فروى عن الجنيد (ت:297هـ) أنه قال : (الحال نازلة تنزل بالعبد في الحين ، فيحل بالقلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك ، فيصفو له في الوقت في حاله ووقته ويزول)⁽²⁾ .

ويروى عن أبي على الدقاق (ت:410هـ) في معنى قوله : " إن ليغان على قلبى حتى استغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة " ⁽³⁾ ، أنه كان : أبدا في الترقى من أحواله ، فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها فربما حصل له ملاحظة إلى ما رتقى عنها ، فكان بعدها غنا بالإضافة إلى ما حصل فيها فأبدا كانت أحواله في التزايد⁽⁴⁾ .

1. لطائف الإعلام لعبد الرزاق المكاشاني ص 403 ، وانظر كشف اصطلاحات الفنون 2/119 ، وانظر في معنى الحال عند ابن عربي الذي يتوافق مع هذا المعنى ، الفتوحات المكية 2/132 ، 4/370 .

2. اللمع ص 411 .

3. أخرجه الإمام الترمذى في كتاب تفسير القرآن (3259) وقال الشيخ نصر الدين الألبانى رحمه الله : صحيح ، 383 /5 ولفظه عن أبي هريرة : □□□□□ □□ □□□□□

، يعاينون النتائج والأحداث بالأسباب فقط بينما لا يخدع الموجدون والمتوكلون بالأسباب ، لقوة إيمانهم بالله ومعرفتهم بصفاته ، فينظرون إلى من خلفها ، ويعتمدون عليه ويستعينون به .

ويوضح أبو طالب المكي احتجاب صفات الأفعال بقوله : (وكذلك أيضا تدخل الشبهة على الغافلين ، من ضعف اليقين لشهود المانعين والمنفقين ، أوائل في الفعل ، من قبل أن الله تعالى أظهر العطاء والمنع بأيديهم ، فشهدوهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم ، فأشركوا في أسماء الله) (3) .
ويذكر لسهل بن عبد الله التستري ، أنه قال عن صفة الفعل : (إنها الصفة

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن(□□□□) □□□□ . □/□□

2. قوت القلوب 1/126 .

3. السابق 2/11 .

التي بها احتجب وبها تسمى الله ، فإذا أبصر الإنسان ، أشعره الله بمباشرة صفاته وخفى أظفاره آثارها فى خلقه) (1) فالأسباب فى حقيقتها ميدان لإظهار فعل الله عز وجل ، يحجب قدرته الفاعلة حتى يبتلى الناس بها ، فأصحاب الغفلة يقعون فى الشرك الخفى ، فيقول العبد أعطانى ومنعنى فلان على أنهم أوائل فى الفعل ، وهذا شرك خفى لأن الأسباب تظهر على أيديهم ، وتجرى بواسطتهم فحجبوا بها عن المسبب ، واستتر عنهم المعطى المانع ، وأهل البصائر

يوجدون ولا يحجبون ، فكانت الأسباب حجابا وابتلاء ، ومن هنا تنوع موقف السرى السقطى (ت) :
 251هـ) من الحجاب فى هذين الدعاءين المختلفين
 فنسب إليه أنه مرة يقول : (اللهم مهما عذبتنى
 بشئ ، فلا تعذبنى بذل الحجاب) (2) ومرة أخرى
 يقول : (اللهم الطف بنا واسترنا بلطف الحجاب
) (3)

أما الأول فيقصد أن ينعم بشهود الربوبية
 والفاعلية الإلهية ، وأما الآخر فيسأل الله التخفيف ،
 حتى يستمر في حياته ليرعى شئون نفسه ، لأنه لو
 ظل مشاهدا له وراء كل شئ يسبح الله حقيقة ،
 استحال عليه أن يفعل الضروريات أو يفكر فى
 صلاح معيشتة ، ومن ثم فالصوفية الأوائل فهموا
 علاقة الأسباب بالفاعلية الإلهية ، باعتبارها حجابا
 لقدرة الله عز وجل ، يسدله الخالق رحمة بالناس
 من ناحية ، وابتلاء واختباراً لهم من ناحية أخرى ،
 وهذا المعنى يمكن أن

1. من التراث الصوفى ص 215 .
2. طبقات الصوفية ص 303 .
3. حلية الأولياء 10/120 ، وانظر ختم الأولياء ص 149 .
 يستدل له بشاهد نبوى ، حيث قال رسول الله ﷺ
 للصحابى أبى ربيع حنظلة بن الربيع ﷺ كاتب
 الوحى : " والذى نفسى بيده لو تدومون على ما
 تكونون عندى وفى الذكر ، لصافحتكم الملائكة
 على فرشكم ، وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة

وساعة ثلاث مرات " (1) ، إذ ظن حنظلة أن الانشغال بالأسباب في غير مجلس الذكر مدعاة للنفاق ، فقال : " نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأى العين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا " (2) ، وهو ما يعتبره نفاقا ، وإرشاد النبي ﷺ لحنظلة ﷺ يوحى بأن أهل الحق في دوام الأحوال ، يباشرون الأسباب في ظاهر العيان ، ويعلمون أن الله من وراءهم محيط ، قادر فاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة .

(2- الحجاب حجاب المعاصى ، فحجاب النفس الشهوات واللذات والأهوية وحجاب القلب الملاحظة في غير الحق ، وجملة الصفات الذميمة بصفة عامة حجاب بين العبد وربه ، ويذكر القشيري في قوله تعالى : ﷻ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﷻ [المطففين/15] ، أن المعاصى التي كانوا يكسبون ، حجبتهم عن ربهم وغطت على قلوبهم ، وكما أنهم اليوم محجوبون عن معرفته ، فهم غدا محجوبون عن رؤيته ، ودليل الخطاب يوجب أن يكون المؤمنون يرونه غدا كما يعرفونه اليوم (3) وهذا المعنى قرأني أيضا .

(3- الحجاب احتجاب الوحدة بالكثرة ، يقول ابن عربى : (الحجاب هو

1. أخرجه مسلم في كتاب التوبة (2750) 4/2106 وأحمد (17646) 4/178 .
 2. الحديث السابق . 3. لطائف الإشارات 3/701 كشف التهاني 2/9 .
- كل ما ستر مطلوبك عن عينك ، وهو عند أهل الحق انطباع الصور الكونية في القلب ، المانعة لقبول تجلى الحق (¹) ، ويظهر معنى ذلك على التفصيل من تفسير الكاشاني لقوله تعالى :
 وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا [الإسراء/45:46] ، فيذكر أن الله جعل بين نبيه
 وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة لقصور نظرهم عن إدراك الروحانيات وقصر همهم على الجسمانيات حجابا ، مستورا من الجهل وعمى القلب ، فلا يرون حقيقة القارئ ولا آمنوا بالوحدة ، وإنما لا يبصرونك ، لأنهم لا يحسبونك إلا هذه الصورة البشرية لكونهم بدنيين منغمسين في بحر الهيولى ، محجوبين بالغواشى الطبيعية ، وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وأفعاله ، إذ لو عرفوا الحق لعرفوك ، ولو عرفوا صفاته لعرفوا كلامه ، ولم يكن على قلوبهم أكنة من الغشاوات الطبيعية والهيئات البدنية أن يفقهوه ، ولو عرفوا أفعاله لعلموا القراءة لمن ، ولم يكن فى آذانهم وقر لرسوخ أوساخ التعلقات ، ولوا على أديبارهم

نفورا لتشتت أهوائهم وتفرق همهم في عبادة متعبداتهم من أصنام الجسمانيات والشهوات ، فلا يناسب بواطنهم معنى الوحدة ، لتألفها بالكثرة واحتجابها بها (²) .

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 16 ، ص 18 وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 13 والتعريفات ص 86 .
 2. تفسير القرآن منسوب لابن عربي 1/721 وانظر أيضا للمقارنة بمعنى الحجاب عند ابن عربي فصوص الحكم 1/54 ، وشرح جواهر النصوص في حل كل الفصوص لعبد الغنى النابلسي 1/4 .
- *****

39- الحـرـص

﴿ الْحَرِصُ عَلَى هُدَايِهِمْ عَلَى هُدَايِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ [النحل/37] أي إن تفرط إرادتك في هدايتهم ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف/103] ⁽¹⁾ ، ومن السنة ما روى عن أبي بكر ؓ : ﴿ الْحَرِصُ عَلَى هُدَايِهِمْ ﴾ يقول : " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فإلقاتل والمقتول في النار فقلت : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال :

إنه كان حريصا على قتل صاحبه " (2) ، وعنه أيضا : " ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ وهو راع ، فركع قبل أن يصل إلى الصف ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : زادك الله حرصا ولا تعد " (3) ، والحرص على نوعين :

(1- محمود وهو فرط الإرادة لفعل الخير ، كقوله تعالى في وصف النبي ﷺ : ﷺ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﷺ [التوبة/128] ، وعن أبي هريرة ﷺ : " ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ

1. لسان العرب 7/11 ، والمفردات ص 113 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ﷺ/ﷺ (ﷺ) .
3. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق (783) 2/312 .

يا رسول الله ، أي الصدقة أفضل ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح حريص تأمل الغنى وتخشى الفقر ، ولا تمهل ، حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ولفلان كذا ، وقد كان لفلان " (1) ، ومن حديث عائشة رضي الله عنها قالت : " رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا التي أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو " (2) .

الشيء باجتهاد في إصابته ⁽¹⁾ ، ويرتبط اللفظ بالمذمة ، لاقترانه بطلب الدنيا ، وهي عندهم في موضع العداء ، روى عن حاتم الأصم (ت: 237هـ) أنه قال : (المنافق ما أخذ من الدنيا ، يأخذ بالحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالسنة وينفق لله خالصا في الطاعة) ⁽²⁾ .

ويرى الحارث المحاسبى (ت: 243هـ) أن الغنى ، قد يكون زاهدا في غناه والفقير قد يكون راغبا حال فقره ، فالغنى الصادق المطيع خازن من خزان الله ليس حبسه للأموال ضنا بها وحرصا عليها فهو زاهد وإن كثر عنده المتاع ⁽³⁾

ويذكر القشيري (ت: 465هـ) في شرحه لقوله جل ذكره : ﴿ وَلَيَحْدَثُنَّمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْخِزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة/96] ، أن حب الحياة في الدنيا نتيجة الغفلة عن الله ، وأشد منه غفلة أحبهم للبقاء في الدنيا ، وحال المؤمن من هذا على الضد وأما أهل الغفلة وأصحاب التهلكة فإنما حرصهم على الحياة لعلمهم بما فقدوا فيها من طاعتهم ، فالعبد الأبق لا يريد رجوعا إلى سيده ، والانقلاب إلى من هو خير مرجو خير للمؤمنين من البقاء

والحرمة عند الصوفية تعظيم حرمة الله ،
بتحريم ما حرم الله والامتناع عن معصيته ، قال
الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : (فالتقوى حسن
النية وسلامة الصدر من الآفات ، وذلك أن الله
وضع فى الأرض بيتا استخلصه لنفسه وجعله
مبواً ذكره وسماه كعبة وحرما ، وجعله قياما
للناس وسماه البيت المحرم وسماه بكة ووضع
فى جوف الآدمى قلبا استخلصه لنفسه فلم
يكله إلى أحد . . ثم جعل صدره له حرما ،
وجعل للقلب عينين يبصران بذلك المصباح ، ما
يجرى فى

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب () .
2. أخرجه البخارى فى كتاب العلم () .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة () .

الصدر ، فمن اتقى على كعبة الله وحرمه ، أن
يحدث فيه فسادا أو معصية فهنا أحق أن يتقى
على قلبه وصدره ، أن يحدث فيه غلا أو غشا
أو سوءا حتى يتأدى ذلك إلى جوارحه ، فيفتضح
عند رب العالمين (¹) .

ويذكر القشيري فى تعليقه على قوله تعالى
: ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ
عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج/30] مدلولات متنوعة لتعظيم
الحرمة كلها فى إطار الأصول القرآنية والنبوية
منها : تعظيم الحرمة يكون بتعظيم أمره
وتعظيم أمره بترك مخالفته ، تعظيم الحرمة
بطلب الرضا من الله ، فمن طلب الرضا بغير

رضى الله لم يبارك له فيما آثره من هواه على
 رضى مولاه ولا محالة سيلقى سريعا نجه ،
 تعظيم حرماته بالغيرة على إيمانه وما فجر
 صاحب حرمة قط ، تعظيم الحرمات ألا يقع فى
 الفرقة ، فترك الخدمة يوجب العقوبة وترك
 الحرمة يوجب الفرقة ، وكل شئ من
 المخالفات فللعفو فيه مساع وللأمل إليه طريق
 ، وتارك الحرمة على خطر ألا يغفر ، وذلك بأن
 يؤدى ثبوته بصاحبه إلى أن يختل دينه وتوحيده
 (2)

وربما كان ما سبق من معانى الحرمة
 مفهوما متواضعا لها ، عند الكاشانى فتعظيم
 الحرمات يجعله على مراتب تختلف فى درجاتها
 بحسب العموم والخصوص فهناك تعظيم
 الحرمات عند العامة : وذلك يكون بالوقوف عند
 مراسم الله تعالى وحدوده رغبة فيما وعد الله
 ورهبة مما توعد ، وأيضا تعظيم الحرمات عند

1. آداب المريدين وبيان الكسب ص 99 ، 100 .

2. لطائف الإشارات 2/541 .

المتوسطين : وذلك يكون بالحياء من الله تعالى
 ، لا لطلباً للمثوبة ولا رهبا من العقوبة ، لئلا
 يصير العبد بذلك ، مسترقا لرغبته ورهبته لا
 لربه ، ثم تعظيم الحرمات عند الخاصة : وذلك
 بأن يحفظهم الحق فى أوقات المشاهدة عن

الخروج عن حد الأدب ، فإذا أشهدهم الله تعالى بأنه ظاهرا في كل شئ ، أشهدهم مع ذلك نزاهته عن كل شئ⁽¹⁾ .

1. لطائف الإعلام 1/408 وتعظيم الحرمات الذي يتوافق مع الأصول القرآنية هو تعظيم الدرجة الأولى دون الثانية والثالثة ، فالتعظيم المبني على مراعاة الثواب والعقاب في العبادة هو تعظيم النبي ﷺ وطريقته ، ومعلوم أن ما جاوز ذلك تحت أي دعوى لا يقبل ، كما أن تعظيم الحرمات عند الخاصة ، وهي الدرجة العظمى عند أصحاب الوحدة يشير به الكاشاني إلى ما ذكره بن عربي أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجانب الإلهي عين التحديد والتقييد ، وذلك أن للحق في كل خلق ظهورا فهو الظاهر في كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم إلا عن فهم ، من قال إن العالم صورته وهويته وكذلك من شبهه وما نزهه ، فقد قيده وحدده وما عرفه ، ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين على الإجمال فقد عرفه وحفظ حرمة ، ولذلك فإنهم يحتجون بأن النبي ﷺ ربط معرفة الحق بمعرفة النفس ، ففي الحديث الموضوع : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) موضوع ، انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص 198 والموضوعات الكبرى للإمام علي القاري ص 83 ، بل يفسرون قوله تعالى : ﷻ سَتْرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ ﷻ [فصلت/53] ، بأنه ما خرج عنك ﷻ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﷻ

والحرية ترد عند أوائل الصوفية ، على معنى تجيزه الأصول القرآنية والنبوية فيعنى عندهم إتمام العبودية لله والتحرر مما سواه ، كما روى عن بشر الحافي (ت:227هـ) أنه قال للسرى السقطي : (إن الله تعالى خلقك حرا ، فكن كما خلقك ، لا تراء أهلك في الحضر ، ولا رفقتك في السفر ، اعمل لله ودع عنك الناس) (3) ، ويقول أيضا : (من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية ، لغير الله ، فليظهر السريرة بينه وبين الله تعالى) (4) . وينسب لأحمد بن خضرويه (ت:240هـ) أنه قال : (في الحرية تمام العبودية

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع ١/١١١ (١١١١) .
 2. المفردات ص 111 .
 3. اللمع للسراج الطوسى ص 450 .
 4. الرسالة القشيرية 2/262 .
- وفى تحقيق العبودية تمام الحرية (1) ، وربما جعل الجنيد بن محمد (ت:297هـ)

1. اللمع للسراج الطوسى ص 448 ، طبقات الصوفية ص 104 ، يعد الصوفية أو من تكلموا فى الحرية على هذا المعنى فلهم السبق فى إنشاء اصطلاح للحرية يغير المفاهيم الفلسفية والكلامية ، ويحمل فى طياته تكامل المذهب فى إثبات الحرية بالعبودية

لله والتحرر مما سواه ، سواء كانت الحرية فى القلب أو اللسان أو الجوارح ، فمقدار الحرية فى الإنسان يتحدد بمقدار العبودية لله ، والخروج من عبودية ما سواه ، كما أن أوائل الصوفية رسموا طريقا للحرية من خلال المقامات ، والمجاهدات التى تزيد الإيمان شيئا فشيئا حتى يصل إلى الكمال فيه ، ويبدأ الطريق بمقام التوبة ثم الورع والزهد والصبر والتوكل والرضا وينتهى بالحرية ، فالحرية عندهم آخر مقام للعارف ، وأغلب ذلك ليس نحتا من الأذهان لخدمة قضايا الإيمان ، ولكن تعبيراً عن وجدانهم وتجربتهم التى خاضوها ، فأسفرت عن هذه المعانى والحقائق وعلى ذلك ، فإنهم وفقوا إلى التخلص من المتناقضات واللوازم فى العلاقة التى تربط بين الله وبين الإنسان من ناحية وبين الله والعالم من ناحية أخرى ، بحيث يمكن القول إن مذهب أوائل الصوفية يعبر بصدق عن حقيقة هذه العلاقة ، فهو لا يختلف إلى حد ما عن منهج الكتاب والسنة فى عرض الموضوع ، فالعلاقة بين الله وبين الإنسان هى علاقة عبودية يؤديها الإنسان لربه من خلال معنى الابتلاء فى الأرض والاستخلاف فيها ، والله سبحانه وتعالى كيفه بالصورة التى تمكنه من تحقيق هذه الغاية ، ووهبه كل مقومات الحرية السابقة ليعى دوره فى الحياة ، ويعقل الأشياء عن الله ويتحمل المسؤولية عن أفعاله الخلقية ، فيتحقق معنى العدل والجزاء ، فالكمال الإنسانى يكمن فى ارتقاء الانسان إلى ما فوق سلطان الشيطان والشر والنفس ، ودخول الانسان

فى عبودية الله بإرادته هو السبيل الوحيد عند أوائل الصوفية للمحافظة على حرته وتحقيق ذاته ، إذ أنه يضع نفسه فى موقعه =

الحرية آخر ما يصل إليه العارف من المجاهدة ، فيروى عن أنه قال : الحرية آخر مقام للعارف ، وسئل عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة ، أكون حرا ؟ فقال : المكاتب عبد ما بقى عليه درهم ، وقال متمنيا أن يرى حرا بحق :

أتمنى على الزمان محالا : أن ترى مقلتاى طلعة حر (1) .

وينسب لإبرهيم بن شيبان (ت:330هـ) أنه قال : (من أراد أن يكون حرا من الكون ، فليخلص فى عبادة ربه ، فمن تحقق فى عبادة ربه ، صار حرا مما سواه) (2) ، وربما ركز بعضهم على أن التحرر الحقيقى يكمن فى القلب على اعتبار ، أن صلاح القلب يؤدى باللزوم إلى صلاح البدن وسائر الجوارح فروى عن أبى بكر الشبلى (ت:334هـ) أنه قال : (الحرية هى حرية القلب لا غير) (3) ، وربما توهم البعض ولأول وهله ان الحرية تعنى التحلل من قيود العبودية لله ، وهذا ما يردده عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) حيث

= الصحيح بين الكائنات ، فينضم إليها ويشاهدها عابدة بحقيقة الربوبية ، فينخرط معها بنفى تدييره إلى تديير الله ، وخضوعه وإخضاعه لما منحه الله من نعم وفضل ، مما يجعل الإنسان كائنا على قمة الكائنات ، انظر المزيد فى مفهوم الحرية عند الصوفية فى القرنين الهجريين الثالث والرابع رسالة ماجستير للمؤلف مخطوط كلية دار العلوم 618 سنة 1995م فصل عن الحرية ومنهج العبودية ص 281 وما بعدها .

1. الرسالة 2/461 .

2. طبقات الصوفية ص 404 .

3. السابق ص 343 .

يقول : (والحرية من العبودية باطلة ، أى إذا تصور امرؤ أن العبد يجوز له فى حياته ، أن يتحرر من قيد العبودية ، وأن تسقط عنه التكاليف الشرعية ، فهو على باطل ⁽¹⁾ ، ولكن التحرر جائز من رق النفوسية ، أى يجوز للعبد أن يتحرر من قيد نفسه وغلها ، والرق والعبودية لا يسقطان من العبد بحال ، ولا يسقط عنه اسم العبودية ⁽²⁾ ، وقال السراج الطوسى (ت:387هـ) : (الحرية إشارة إلى نهاية التحقق بالعبودية لله تعالى ، وهو أن لا يملكك شئ من المكونات وغيرها ، فتكون حرا إذا كنت لله عبدا ، فلا يكون العبد عبدا حقا ، ويكون لما سواه مسترقا) ⁽³⁾ .

ولا شك أن هذا ما أشار إليه □ بقوله : " □
 □ تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس
 عبد الخميصة ، تعس عبد الخميعة ، إن أعطى
 رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس
 وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد أخذ بعنان
 فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه
 إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن
 كان فى الساقة كان فى الساقة ، إن استأذن
 لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع له " (4) .

1. سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف ص 361 .
 2. السابق ص 361 .
 3. اللمع ص 450 .
 4. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد (2886) ، وتعس
 دعاء عليه بالهلاك أى انكب وعثر والخميصة ثوب
 خز أو صوف معلم ، والخميعة ثياب لها حمل من
 أى شئ كان ، وإذا شيك فلا انتقش أى إذا أصابته
 شوكة فلا أخرجت منه .
- ويروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) أنه
 قال : (أنت عيد من أنت فى رقه وأسرره ،
 فإن كنت فى أسر نفسك ، فأنت عبد نفسك ،
 وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك) (1) .
- ويستند القشيري (ت:465هـ) إلى الأصول
 القرآنية فى بيان معنى الحرية عند الصوفية ،
 فيبين أن المحرر هو الذى ليس فى رق شئ
 من المخلوقات ، حرره الحق سبحانه فى سابق

حكّمه عن رِق الاشتغال بجميع الوجوه والأحوال ، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي أَنَا نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران/35] (2) .

واستدل على معنى الحرية بقوله تعالى : ﴿ وَبُؤِثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر/9] ، وذلك أنهم إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه وآثروا به ، فالحرية ألا يكون العبد تحت رِق المخلوقات ، ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحة سقوط التمييز بين الأشياء ، فيتساوى عنده أخطار الأعراض حتى يستوى حجرها وزهبا (3) .

وكما عودنا الكاشاني في ذكر معاني المصطلح وتخصيصه على الوجه الدلالية لاعتبارات الصوفية ، جعل الحرية في الاصطلاح الصوفى على ثلاثة أنواع :

1. الرسالة 2/430 .

2. لطائف الإشارات 1/237

3. الرسالة 2/460 .

1- حرية العامة : وهى التى تقدمت وتعنى الخروج عن رِق اتباع الشهوات (1) .

2- حرية الخاصة : وهى الخروج عن رِق المرادات ، لاقتصارهم على ما يريده الحق

قال رسول الله ﷺ : يا رسول الله وما جب الحزن ؟ قال : واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة ، قلنا : يا رسول الله ، ومن يدخله قال القراء المرءون بأعمالهم " (1) .

والحزن خشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم ، وبيضاده الفرح قال الله عز وجل : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس/62] وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران/139] ، فليس ذلك بنهي عن تحصيل الحزن ، فالحزن ليس يحصل بالاختيار ، ولكن النهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه (3) .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض ، وللمحزون على الهالك ، وكانت تقول إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن التلبينة تجم فؤاد المريض ، وتذهب ببعض الحزن " (4) .

1. أخرجه الترمذي في كتاب الزهد (2955) وصححه الألباني 5/204 ، وأبو داود (4693) 4/222 وابن حبان في صحيحه (6181) 14/60 .

2. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2383) وقال :
 هذا حديث حسن غريب ، وقال الشيخ الألبانى :
 ضعيف 4/593 ، وابن ماجه (256) 1/94 .
3. المفردات ص 115،116 .
4. أخرجه البخارى فى الطب $\square\square\square\square\square\square\square\square$ والتلبينة
 حساء يجعل من دقيق أو نخالة .
 وللحزن علامات يعرف بها ، منها ما ورد فى
 قول الله تعالى : \square وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى
 عَلَى يُوسُفَ وَأَبِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ \square [يوسف/
 84] ، وقوله عز وجل : \square تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ
 مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا \square [التوبة/92] ، عن أنس \square $\square\square$: "
 $\square\square\square\square\square\square\square\square$ \square شهرا حين قتل القراء ، فما
 رأيت رسول الله \square حزن حزنا قط أشد منه " ¹⁾
 ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : "
 أن النبي \square بكى على سعد بن عبادة عند موته ،
 فلما رأى القوم بكاء النبي \square بكوا فقال : ألا
 تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن
 القلب ، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو
 يرحم ، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه " ⁽²⁾ .
 وقد ثبت فى السنة أن ما يصيب المسلم
 من الحزن يكفر عنه الخطايا ، فعن أبي هريرة
 \square $\square\square\square\square\square\square$ \square قال : " ما يصيب المسلم من
 نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا
 غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها
 من خطاياها " ⁽³⁾ ، وقد كان النبى \square يكثر أن

يتعوز من الحزن ، لما روى عن أنس بن مالك
: □□□ □

" □□□ □□□□ □ كثيرا يقول : اللهم إني

أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل
والبخل والجبن وضيع الدين وغلبة الرجال " (4) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز □/□□□ □ (□□□□) .
2. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق (□□□□) □
3. أخرجه البخارى فى كتاب المرضى (□□□□) □
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير □/□□□ □ (□□□□) □

: □□□□□□ □□□□□□□□ □□ □□□□□

والحزن عند الصوفية ، توجع القلب لفاتت
، أو تأسفه على ممتنع ، وهو عندهم تأسف
على ما يفوت العبد من الكمالات وأسبابها
وماهياتها ، وهو على نوعين (1) :

الأول : الحزن المحرم وهو ما كان من فوات
حظة من الدنيا ومتاعها ، لقوله الله تعالى
: □□ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا
بِمَا آتَاكُمْ ° [الحديد/23] ولا يصح مع الحزن
على متاع الدنيا إيمان بالقدر .

الثانى : الحزن المندوب ، وهو الحزن على
فوات الأعمال الصالحة ، وعلى زمان مضى
لم يجتهد فيه .

وقال الحارث بن أسد المحاسبي (ت: 243هـ): (إذا حزن العبد في الدنيا للأخرة ، فهو المفروح غدا في جوار الله ، وإذا حزن في الدنيا للدنيا فهو القاصى عن قرب الله عز وجل ، ومخرج الحزن علمهم بعلم الله عز وجل فيهم أنه قد رأهم في مواطن يكرهها ، فهم غير آمنين لا تقر لهم أعين ، ولا ينشطون لفرح لما غلب على قلوبهم من الأحزان) (2) ، ويجعل المحاسبي الحزن على وجوه :

حزن على فقد أمر يحب وجوده ، وحزن مخافة أمر مستقبل ، وحزن لما أحب من الظفر بأمر فيتأخر عن مراده ، حزن يتذكر من نفسه مخالفات الحق فيحزن

1. القصد والرجوع إلى الله ص 95 .
2. طبقات الصوفية ص 59 .
- له ، ثم يذكر المحاسبي أيضا في استقصاء جيد علامات الحزن ويورد منها (1) :
- 1- التفكير في الذنوب السالفة .
- 2- رهبة القدوم على الله تعالى بغير زاد .
- 3- أخذ القلوب بحقوق الله تعالى الواجبة والفرائض اللازمة .
- 4- الانقباض عند الانبساط ، والانقطاع عن فضول الكلام ، وقلة المبالاة بأمور الدنيا .
- وقسم الكاشاني الحزن عند الصوفية إلى ثلاثة أنواع تعبر في الحقيقة عن وجهة نظره ،

- [البقرة/109] ، والحسد محرم لما روى
 عن أبي هريرة [البقرة/109] ، قال : إياكم والظن
 ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا
 تجسسوا ، ولا تتحاسدوا ، ولا تدابروا ولا تباغضوا
 ، وكونوا عباد الله إخوانا (2) ، وعنه أيضا أن
 رسول الله [البقرة/109] قال :
 " .. ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان
 والحسد " (3) .

= ومسلم في كتاب الإيمان (البقرة) وكلاهما عن
 أبي هريرة [البقرة/109] : " إياكم والظن ،
 فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا
 تجسسوا ، ولا تتحاسدوا ، ولا تدابروا ولا
 تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا " (2) .
 [البقرة/109] ، وعنه أيضا أن رسول الله [البقرة/109]
 قال : " إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ،
 ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تتحاسدوا ،
 ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله
 إخوانا " (2) .
 [البقرة/109] ، وعنه أيضا أن رسول الله [البقرة/109]
 قال : " إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ،
 ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تتحاسدوا ،
 ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله
 إخوانا " (2) .
 [البقرة/109] ، وعنه أيضا أن رسول الله [البقرة/109]
 قال : " إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ،
 ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تتحاسدوا ،
 ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله
 إخوانا " (2) .

باسم الله يبريك ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد ، وشر كل ذي عين " (1)

2- حسد مشروع ، وهو ما يطلق ويراد به الغبطة ، وتعنى تمنى المرء أن يكون له من الخير مثل ما عند الغير دون زوالها عنه ، ومن ذلك ما روى عن أبي هريرة ، قال : " لا تحاسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه أثناء الليل والنهار ، يقول : لو أوتيت مثل ما أوتي هذا ، لفعلت كما يفعل ، ورجل آتاه الله مالا ينفقه في حقه ، فيقول لو أوتيت مثل ما أوتي لفعلت كما يفعل " (2) ، وعن عائشة قالت : " ما حسدت أحدا ما حسدت خديجة ، وما تزوجني رسول الله إلا بعد ما ماتت ، وذلك أن رسول الله بشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب " (3) .

□ □□□□ □□□□□□□□ □□ □□□□□□□□ :

والحسد عند الصوفية متوافق مع الأصول القرآنية السابقة ، فهو كراهة حصول النعمة للغير ومحبة زوالها عنه ، وأكثر ما يكون الحسد بين الأقران والأمثال

1. أخرجه مسلم فى كتاب السلام □□□□□ □□□□□ (□□□□□) □□□□□ وأحمد فى المسند (11574) .

2. أخرجه البخارى فى كتاب التمنى □□□□□ □□□□□ (□□□□□) □□□□□ .

3. أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب (٥٥٥٥) وقال :
حديث حسن ، وقال الألبانى : صحيح 5/702 ،
والقصب قصب اللؤلؤ .

والأخوة وبنى العم والأقارب ، وإنما يكون غالبا
بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها فى
مجالس المخاطبات ، ويتواردون فى الأغراض ،
فإذا خالف واحد صاحبه فى غرض من أغراضه
، نفر طبعه عنه وأبغضه ، وثبت الحقد فى قلبه
، فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ،
ويكره تمكنه من النعمة التى توصله إلى
أغراضه ، فلا تحاسد بين شخصين فى بلدين لا
رابطة بينهما تجمعهما ولا تحاسد أيضا بين
شخصين لا تحاد بينهما ، فلا يحسد العطار
النجار ، ولا الفلاح البزار ، ولا العالم العابد ،
ولا الأمير القاضى ، ولا عكسه وله أسباب منها
، أن يكون عدو له أو مبغوضا له ، وأن يكون
قبول الناس عليه أكثر ومحبتهم له أقوى ،
أن يكون موصوفا عند الناس بزيادة فى
العلم والفضل فيحسده على ذلك ، ومنها كثرة
المال والجاه ⁽¹⁾ .

ويروى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال :
(أصل الطاعة ثلاثة أشياء : الخوف والرجاء
والحب وأصل المعصية ثلاثة أشياء : الكبر
والحرص والحسد) ⁽²⁾ ، وقد بين الحارث
المحاسبى (ت:243هـ) تفصيل الحسد ودقائقه

وأفرد له أبواباً متعددة ، فيقول : (إن الحسد في الكتاب والسنة على وجهين وهما موجودان في اللغة) (3) ، ثم يقسمه إلى وجهين (4) :

1. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 2/33 ، 34 .

2. طبقات الصوفية ص 95 .

3. الرعاية لحقوق الله ص 387 .

4. السابق ص 389 ، 390 .

1- أحدهما حسد غير محرم ، وهو كراهة التقصير عن منزلة غيره ، ومحبة المساواة ، واللحوق به ، مع ترك التمني أن يزول عن نفسه ، حاله التي هو عليها ، فبعض هذا الحسد فرض ، وبعضه فضل ، وبعضه مباح ، وبعضه يخرج إلى النقص والحرام .

2- وأما الوجه الآخر فمحرم كله ، ولا يخرج إلا إلى ما لا يحل ، وقد ذمه الله عز وجل في كتابه والرسول ﷺ في سنته ، واجتمع علماء الأمة عليه ، قال تعالى : **﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا جَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾** [البقرة/109] وقال سبحانه : **﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾** [النساء/54]

ثم يبين المحاسبي أن الحسد أنواع (1) :

(1- ما يكون من الحسد على الرياسة وحب المنزلة ، فالرياسة والمنزلة عند الناس بالعلم ، فإنه يورث رد الحق وتركه على علم ، كما تفرق أهل الكتاب حسدا بينهم أن يعلوا بعضهم بعضا فى العلم ، كل واحد منهم يحسد صاحبه الرياسة ، أن تكون له دونه ، وكذلك المنزلة عند الناس ، فرد الحق أن يقبله وابتدع ، فقال بغير الحق ليتبعه الناس على قول ، هو خلاف قول من يحسده وخطأه فيما يقول وإن كان حقا ، وأظهر أن الحق فى غيره ليصد الناس عنه ويطفئ نوره ، حسدا أن ترتفع منزلته أو يخضع له فيكون عليه رئيسا .

1. السابق من ص 395 : ص 398 ملخصا .

(2- ما يكون من الحسد عن الحقد والعداوة والبغضاء ، وهو أشد الحسد وذلك ما وصفه الله عز وجل عن الكفار وعداوتهم ، وبغضهم للمؤمنين فالمبغض لا يحب أن يرى بمن يبغض نعمة عليه من الله ، ويحب أن يراه بأسوأ الحال فى الدين والدنيا ، ولهذا قال تعالى عن المنافقين : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَالِيكُمْ الْإِنَّمَالِ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنِّي أَلَا اللَّهُ عَلَيْهِمُ بَدَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران/119] .

(3- ما يكون من الحسد عن حب ظاهر الدنيا ، أن ينال ما يرى بغيره من حب أو بر من قرابة أو غيره ، كالأخوة يتحاسدون ، أو أخ يحاسد الأخ عند أبيهما أو أمهما أو قرابتهما وكذلك الصاحبان أو الشريكان ، فيحسده علي ما يرى من حب أبيهما أو أمهما أو برهما ، أو من صحبهما أو شاركهما ، ويحب أن يؤثر بذلك دونه ، فيحسده فيقع فيه ويبغضه ليصرف وجه أبيه أو غيره إليه بالبر والحب ، وكذلك المرأتان والضرتان ، وذلك كما وصف عن أخوة يوسف عليه السلام ، حين حسدوه في حب أبيه له دونهم ، وإيثاره إياه عليهم ، إذ قالوا : ﴿ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ [يوسف/8] إلى قوله : ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُهُ أَبْيَكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [يوسف/9] .

(4- ما يكون من الحسد عن العجب ، كما أخبرنا الله عن الأمم الماضية فقالوا لرسولهم : ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [يس/15] وقولهم : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾ [المؤمنون/34] فجزعوا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة والنسب ، فقالوا يتعجبون منهم :

﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء/94] ، وقال الله تعالى عن قول نوح وهود لقومهما : ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ

1. لسان العرب 10/49 ، والمفردات ص 125 ، ص 124 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب / () .
- 3- الحق : يقال للاعتقاد للمطابق للحقيقة ، كقوله تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة/213] ، وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : " جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبي ﷺ : إذا رأت الماء " (1) .
- 4- الحق : يطلق على التوحيد والشريعة ، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ : " ﷺ ﷺ مكة ، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبا فجعل يطعنها يعود في يده وجعل يقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [الإسراء/81] " (2) وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [التوبة/33] ، ويطلق على الشريعة ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [النساء/170] ، وروى عن عبد الله بن مسعود ﷺ : " قال ﷺ : لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل

(الجوارح) (1) ، وعن ذى النون المصرى (ت: 248هـ) قال : (كل مدع ، محجوب بدعواه عن شهود الحق لأن الحق شاهد لأهل الحق ، ولأن الله هو الحق ، وقوله الحق ، ولا يحتاج أن يدعى ، إذا كان الحق شاهدا له ، فأما إذا كان غائبا فحينئذ يدعى ، وإنما تقع الدعوى للمحجوبين) (2) ، ويذكر لأبى سعيد الخراز (ت: 279هـ) فى بعض كلامه : (عبد موقوف مع الحق بالحق للحق) ، ويعنى بذلك أنه موقوف مع الله بالله لله (3) ، ويروى أن يوسف بن حسين الرازى (ت: 304هـ) سئل : دلتى على طريق المعرفة ؟ ، فقال : أر الله الصديق منك فى جميع أحوالك ، بعد _____

1. طبقات الصوفية ص 105 .

2. السابق ص 22 .

3. اللمع ص 413 .

أن تكون موافقا للحق ، ولا ترق إلى حيث لم يرق بك ، فتزل قدمك ، فإنك إذا رقيت سقطت ، وإذا رقى بك لم تسقط ، وإياك أن تترك اليقين لما ترجوه ظنا (1) ، ويذكر السراج الطوسى (ت: 387هـ) أن الحق فى عرف الصوفية هو الله عز وجل ، لقوله : « وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ » [النور/25] والحقوق معناه الأحوال والمقامات ، والمعارف والإرادات ، والعقود والمعاملات والعبادات (2) ، وقال أبو

الحسن على بن عثمان الهجویری (ت: 465هـ) :
 (مرادهم من الحق الله ، لأن هذا إسم من
 أسماء الله ، لقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ
 الْحَقُّ ﴾ [الحج/62] ⁽³⁾ .

والحق في عرف ابن عربي يطلق على عدة
 معان ، أولها له أصول نبوية ويعنى به ما وجب
 على العبد من جانب الله ، وما أوجبه الحق
 على نفسه ⁽⁴⁾ ، وهذا المعنى يشهد له ما ثبت
 عن معاذ بن جبل ﴿ : " إني سمعت رسول الله
 حمار ، فقال : يا معاذ ، هل تدري حق الله
 على عباده ، وما حق العباد على الله ؟ قلت :
 الله ورسوله أعلم قال : فإن حق الله على
 العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق
 العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به
 شيئاً " ⁽⁵⁾ أما بقية المعانى فإنها تدور على
 فلسفته في وحدة الوجود كقوله :

1. طبقات الصوفية ص 188 .
2. اللمع ص 413 .
3. كشف المحجوب الهجویری ص 627 .
4. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 15 .
5. أخرجه البخارى في كتاب الجهاد والسير/ (ص 15)

(الحق هو الله الذى له التجلى في صور
 الأشياء كلها ، مشهودا في أعين الخلق فإن
 الأشياء ما ظهرت إلا به سبحانه وتعالى ،

فالعارف يعلم أن كل شئ يراه ليس إلا الحق (⁽¹⁾ ، وربما اعتبر الحق ، هو الوجود والخير فى مقابل الباطل الذى هو العدم والشر ، فيقول : (فما أخرج الله العالم من العدم ، الذى هو الشر إلا للخير الذى أراده به ، ليس إلا الوجود ، فإن الدار الدنيا لها وجه إلى الحق بما هى موجودة ، ولها وجه لغير الحق بما ينعدم فيها وينتقل عنها) ⁽²⁾ ويقول أيضا : (وليس فى الوجود باطل أصلا ، وإنما الوجود حق كله والباطل إشارة إلى العدم) ⁽³⁾ (الباطل عدم ولا عين له فى الوجود ، ولو كان له وجود لكان حقا) ⁽⁴⁾ ، وكذلك الحق يعتبره ابن عربى أحد وجهى الحقيقة الوجودية فإنها واحدة بذاتها ثنوية بوجهيها ، فيقال : حق خلق ، على اعتبار أن الحقيقة الوجودية واحدة ، وكذلك رب عبد ، واحد كثير ، قديم حادث ، إلى غير ذلك من الثنائيات التى هى واحد عنده من الوجهين ، فالحق فى أحد الوجهين هو الجامع لكل صفات القدم فى مقابل الخلق الوجه الآخر للحق ، الجامع لكل صفات الحدوث ، فالخلق فى الواقع ليس إلا مظهرا ومجلى وتعينا للحق ، يقول

-
1. الفتوحات المكية 4/184 وانظر التعريفات للجرجاني ص 94 وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 2/80 .
 2. السابق 3/377 .

3. مواقع النجوم ص 79 .

4. الفتوحات 4/402 .

محي الدين بن عربي : (فالحق مصرف العالم ، والعالم مصرف الحق ، ألا تراه يقول :
 أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي [البقرة/186] ،
 أليست الإجابة تصريفاً) (1) ، (فالكون كله
 جسم وروح بهما قامت نشأت الوجود ، فالعالم
 للحق كالجسم للروح) (2) .

ويقول أيضا : (فإن للحق في كل خلق ظهور ،
 فهو الظاهر في كل مفهوم وهو الباطن عن
 كل فهم ، إلا عن فهم من قال : إن العالم
 صورته وهويته وهو الاسم الظاهر ، كما أنه
 بالمعنى روح كل ما ظهر ، فهو الباطن) (3) ،
 وربما أراد بالحق : العدل والإنصاف ، وهو صفة
 الإنسان الكامل ، يقول ابن عربي : (فأعطي
 الإنسان الكامل كل ذي حق حقه كما أن الله :
 ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾ [طه/50] ، فالذي
 انفرد به الحق ، إنما هو الخلق ، والذي انفرد
 به من العالم الكامل إنما هو الحق ، فيعلم ما
 يستحقه كل موجود ، فيعطيه حقه وهو المسمى
 بالإنصاف) (4) .

45 - الحقيقة

قال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " [الأعراف/105] على معنى الصدق فى البلاغ (1) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (2) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (3) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (4) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (5) ،

وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (6) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (7) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (8) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (9) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (10) ،

وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (11) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (12) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (13) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (14) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (15) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (16) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (17) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (18) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (19) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (20) ،

وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (21) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (22) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (23) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (24) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (25) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (26) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (27) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (28) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (29) ،
وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (30) ،

وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (31) ،

وقال ابن عمر : " لا أقول على الله إلا الحق " (32) ،

١٠. مصطلح "الصدق" في الصوفية له معانٍ كثيرة، منها:
١١. الصدق في الإيمان، وبلوغ درجة الإحسان، وكمال المراقبة، والمداومة على النظر في أفعال الله.
١٢. الصدق في العلم، وهو العلم بالحقيقة، والصدق في العمل، وهو العمل بما أمر الله به ونهى عنه.
١٣. الصدق في الوجود، وهو الوجود الحقيقي، والصدق في القول، وهو القول بالحق.
١٤. الصدق في النفس، وهو التخلص من الشهوات، والصدق في العبادات، وهو الإخلاص لله تعالى.

وقد ورد مصطلح الحقيقة في ألفاظ الصوفية على عدة معانٍ، تدور أغلبها حول الصدق في الإيمان، وبلوغ درجة الإحسان، وكمال المراقبة، والمداومة على النظر في أفعال الله.

فروى عن أبي الحسين النوري (ت: 295هـ) أنه قال: (أعز الأشياء في زماننا شيان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقته) (1)، ويروى عن رويم بن أحمد البغدادي (ت: 303هـ): (قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم، من قعودك مع الصوفية، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الوجود ومداومة الصدق، فمن قعد معهم

وخالفهم فى شئ مما يتحققون فيه نزع الله نور الإيمان من قلبه) (2) .

وهذا الكلام فيه نظر لأن الله لا ينزع نور الإيمان من القلب ، إلا إذا خالف العبد شرعه وعصى أمره ، أما مخالفة أذواق الصوفية فلا توجب ذلك ، ولذا أحسن أبو بكر بن طاهر الأبهري (ت:330هـ) ، عندما سئل عن الحقيقة ؟ فقال : الحقيقة كلها علم وسئل عن العلم ؟ فقال : العلم كله حقيقة (3) ، فرد الحقيقة إلى اتباع العلم ، ومثله أيضا ما ذكره السراج الطوسى (ت:387هـ) _____

1. طبقات الصوفية ص 169 .

2. السابق ص 182 .

3. السابق ص 394 .

حيث قال : (الحقيقة وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به ، فلو داخل القلوب شك أو مخيلة ، فيما آمنت به حتى لا تكون به واقفة وبين يديه منتصبه ، لبطل الإيمان ، وهو قول النبي ﷺ لحارثة : " لكل شئ حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ ، فقال : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظلمات نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربي بارزا ") (1)

وكأنه يعبر عن مشاهدة قلبه ، ودوام وقوفه وانتصابه بين يدي ربه ، لما آمن به حتى عبده

كأنه رأى العين⁽²⁾ ، ومن أجود ما قيل فى ذلك ، ما روى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) ، قال : (قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة/5] حفظ للشريعة ، وقوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة/5] إقرار بالحقيقة)⁽³⁾ .

1. حديث ضعيف ، أخرجه الطبرانى فى الكبير عن حارثة أنه " مر برسول الله ﷺ فقال له : كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ، فقال : انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : قد عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت لذلك ليلي وأظمان نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها ، فقال : يا حارث عرفت فالزم ثلاثا " انظر معجم الطبرانى الكبير لأبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى ، مراجعة حمدى بن عبد المجيد ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، الموصل سنة 1983م ، 1404هـ ، (3367) 3/266 وانظر المنتخب من مسند عبد بن حميد ، مراجعه صبحى البدرى السامرائى ومحمود محمد خليل الصعيدى ، نشر مكتبة السنة ، القاهرة سنة 1988م 1408هـ (ص 165) .

3.

2. اللمع ص 413 .
الرسالة القشيرية 1/261 .

وللهجویری (ت:465هـ) كلام في مصطلح الحقيقة يدل على وضع الصوفى حال انجذابه إلى ربه ، وفنائته عن سواه ، لا بمعنى اضمحلال الإنسان فيقول : (الحقيقة عندهم هي مقام الإنسان في الجمع مع ربه ، ووقوف القلب في مقام التنزيه) (1) .

وبين القشيري (ت:465هـ) أن الحقيقة في اصطلاح الصوفية ، ما يقابل الشريعة ، فالشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، وكل شريعة غير مؤبده بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة ، فغير مقبول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر ، وأخفى وأظهر ، والشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره ، والحقيقة أيضا شريعة ، من حيث إن المعارف به سبحانه أيضا وجبت بأمره (2) .

وإذا عدنا إلى الحقيقة في فلسفة محي الدين بن عربي (ت:638هـ) نجد أنها تأخذ معنى آخر عما تقدم ، إذ تعنى ظهور ذات الحق ، من غير حجاب التعينات ، ومحو الكثرات الموهومة في نور الذات ، وذلك يكون بسلب آثار أوصافك عنك بأوصافه ، بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ، كما قال تعالى : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ﴾

آخِذْ بِنَاصِيَتِهَا ۖ [هود/56] ⁽³⁾ ، وهناك بعض
المصطلحات

1. كشف المحجوب للهجويرى ص 466 .
 2. الرسالة القشيرية 1/261 .
 3. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص 7 ، وكشاف
اصطلاحات الفنون 2/86 .
- المرتبطة بالحقيقة ومستعملة على فكر أصحاب
الوحدة ، وهى بعيدة فى مدلولها عن الكتاب
والسنة منها ⁽¹⁾ :

- (1)- حقيقة الحقائق : ويعنون بها باطن الوحدة
وهى عبارة عن الذات الأحادية الجامعة لجميع
الحقائق ، فهى تجمع فى ذاتها جميع ماهيات
الحق والخلق والحضرة الإلهية والكونية ،
وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود ⁽²⁾ .
- (2)- حقيقة الحق : عبارة عن صورة علمه
بنفسه ، من حيث تعينه فى تعلقه نفسه ،
باعتبار توحد العلم والعالم والمعلوم .
- (3)- حقيقة الخلق : عبارة عن صورة علم ربهم
بهم ، أو نسبة تعينه فى علم ربه أزلا وأبداً ،
فإنه لما كان تعالى عالماً بجميع
الأشياء على حقائقها حقيقة ، وكان علمه
الصفة القائمة المستحيل على ما سواه
أن تكون قائمة به ، استحال على ما سواه
أن يكشف الأشياء بحقائقها .

(4- الحقائق : هى أسماء الشؤون الذاتية عندما تتصور ، وتتميز فى المرتبة الثانية ، فإن جميع الحقائق الإلهية والكونية ، إنما تكون شؤوناً وأحوالاً ذاتية ، من اعتبارات الواحدة مندرجة فيها .

(5- الحقيقة الإنسانية الكمالية : هى حضرة الألوهية ، المسماة بحضرة المعانى وبالتعين الثانى ، والمعنى بكونها الحقيقة الإنسانية الكمالية ، هى كون

1. لطائف الإعلام 1/424 : ص 427 .

2. انظر أيضا الفتوحات 2/433 وانظر معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 37 .

صورة الإنسان الكامل صورة لمعنى ، وحقيقة ذلك المعنى ، وتلك الحقيقة هى حضرة الألوهية المسماة بالتعين الثانى ، فكان الإنسان الكامل ، هو مظهر التعين الثانى ، والإنسان الأكمل هو مظهر التعين الأول ، المسمى بحقيقة الحقائق .

(6- الحقيقة المحمدية : وهى أكمل مجلى خلقى ظهر فيه الحق ، بل هى الإنسان الكامل بأخص معانيه ، وإن كان كل موجود ، هو مجلى خاص لاسم إلهى ، فالحقيقة المحمدية ، هى مبدأ خلق العالم وأصله ،

وهى الذات مع التعيين الأول ، فله الأسماء
الحسنى كلها وهو الإسم الأعظم (1) .

46 - الحكمة

الحكمة : هي العلم بما ينبغي عمله في كل وقت ومكان ،
والتي هي من صفات الله تعالى ، وهي صفة تليق به
: (1)

الحكمة

الحكمة هي العلم بما ينبغي عمله في كل وقت ومكان ،
والتي هي من صفات الله تعالى ، وهي صفة تليق به
: (1)

الحكمة

- الحكمة : وهو العزيز الحكيم [الحشر/1] ،
والحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء ،
وإيجادها على غاية الأحكام ، وهي صفة تليق به
سبحانه ، وليس كمثله شيء فيها ، كما قال الله
تعالى : أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ [التين/8]

2- الحكمة وصف الإنسان ، عند معرفته علل
الأشياء ومعلولاتها ، والأسباب المؤدية إلى

تحصيل الخيرات فى الدنيا والآخرة ، وهو ما وصف الله به لقمان فى قوله : « وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ » [لقمان/12] ، وقال سبحانه وتعالى : « وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا » [البقرة/269] .

3- الحكمة وصف القرآن الحكيم ، وذلك لتضمنه الدلالة على جميع الخيرات فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : « تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ » [يونس/1] وقال أيضا : « وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ » [القمر/5] .

4- الحكمة وصف السنة ، لأنها توضح مراد الله وتفسره كقوله : « وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ » [الجمعة/2] ، وقال تعالى : « وَادْكُرْنَا مَا يُثَلَّى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ » [الأحزاب/34] ، وقال قتادة : الحكمة السنة ⁽¹⁾ .

5- الحكمة كل قول بليغ موزون بالنقل ، وقال ابن عباس : « " اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا الْحِكْمَةَ " (2) ، وفى رواية قال : " اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا الْحِكْمَةَ " .

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن 8 / 376 .
2. البخارى فى المناقب 5/680 (3824) والترمذى فى المناقب (3824) 5/680 .
- الحكمة وتأويل الكتاب " (1) .

6- الحكمة : كل قول بليغ موزون بالعقل ، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : " إن من الشعر حكمة " ⁽²⁾ وعن أبي خلد رضي الله عنه : " إذا رأيت الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطلق ، فاقربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة " ⁽³⁾ ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه : " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها ، فهو أحق بها " ⁽⁴⁾ .

7- الحكمة ، تعلم العلم وتعليمه والعمل به ، لما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها " ⁽⁵⁾ .

1. أخرجه ابن ماجة في المقدمة رضي الله عنه وقال الشيخ الألبانى : 58 / 1 ، وانظر فضائل الصحابة حديث (1923) 2/976 .
2. أخرجه البخارى في كتاب الأدب رضي الله عنه .
3. ضعيف ، أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد (4101) 2/1373 ، وانظر الآحاد والمثانى (2690) 5/152 وفي السند يزيد بن سنان ، وهو ضعيف ، انظر ضعفاء العقيلي (1995) 4/382 ، والإصابة (9276) 6/661 ، والكامل في ضعفاء الرجال (2166) 7/269 ، والمجروحين من المحدثين والضعفاء (1187) 3/106 .

4. ضعيف جدا ، أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد (4169) 2/1395 وفى السند إبراهيم بن الفضل وهو متروك ، انظر ضعفاء العقيلي (56) 1/60 ، والجرح والتعديل (376) 2/122 ، والكشف الحثيث ، لأبى الوفا العجمى (20) ص 39 .
5. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (ص) .
- □□□□□ □□□□□□□□ □□ □□□□□□ :

الحكمة فى عرف الصوفية ، هى الاطلاع على أسرار الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها ، ومعرفة ما ينبغى بالشروط التى تنبغى ، فمن عرف الحكمة ويسر للعمل بها ، فذلك الحكيم الذى أتاه الله الحكمة ، فأحكم وضع الأشياء فى مواضعها ، كما قال تعالى :

□ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا □ [البقرة/269] ⁽¹⁾ .

وقد تنوعت أقوالهم فيها ولكنها فى الأغلب تدور فى إطار هذا المعنى ، فجعلها بعضهم بمعنى السنة كما روى عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) أنه قال : (من جلس مع صاحب بدعة ، لم يعط الحكمة) ⁽²⁾ ، وبعضهم جعل الزهد وترك فضول الكلام وتصغير الشأن سببا فى الحكمة ، فلأبى سليمان الدارانى (ت: 215هـ) : (إذا ترك الحكيم الدنيا ، فقد استنار بنور الحكمة) ⁽³⁾ .

وينسب لأبى بكر الوراق (ت: بعد 250هـ) أنه قال : (الحكماء خلف الأنبياء ، وليس بعد النبوة إلا الحكمة ، وهى إحكام الأمور ، وأول علامات الحكمة ، طول الصمت ، والكلام على قدر الحاجة) (4) ، وروى عن شاه الكرمانى (ت: قبل 300هـ) : (علامة الحكمة معرفة أقدار الناس) (5) ويذكر

1. انظر معجم الكاشانى ص 77 ، ولطائف الإعلام ص 432 .
2. طبقات الصوفية ص 10 .
3. السابق ص 81 .
4. السابق ص 226 .
5. السابق ص 261 .

لأبى محمد الجريدي (ت: 311هـ) أنه قال : (لكل شئ عند الله حق وإن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة ، فمن جعل الحكمة فى غير أهلها ، طالبه الله بحقها ومن طالبه بحقها خصم) (1) .

وربما عنى بعضهم بالحكمة سماع الحق أو النطق به ، مثل ما يروى عن الحكيم الترمذى (ت: 320هـ) أنه قال : (الناس فى استماع الحكمة رجلان : عاقل وعامل ، فالعاقل يتعجب وهو لما يسمعه يشتهى ، والعامل يتقلب كأن قلبه منه حية تلتوى) (2) ، ولعلى بن الكاتب (ت: بعد 340هـ) : (إن الرجل إذا سمع الحكمة فلم يقبلها فهو مذنب ، وإذا سمعها ولم يعمل

بها فهو منافق) (3) ويذكر لأبي عثمان المغربي (ت:373هـ) : (الحكمة هي النطق بالحق) (4) .
وهناك بعض المصطلحات المرتبطة بالحكمة
يتنوع مدلولها حسب اتجاه قائلها ومسلكهم في
التصوف (5) :

- 1- الحكمة الجامعة : ويقصد بها عندهم ،
معرفة الحق ، والعمل به ، ومعرفة الباطل
وتجنبه .
- 2- الحكمة المتصرف بها : وتعنى بها ما ينتفع
به كل من سمعه ، وذلك كعلم الشريعة
والطريقة .

-
1. السابق ص 193 .
 2. السابق ص 218 .
 3. السابق ص 387 .
 4. السابق ص 483 .
 5. لطائف الإعلام ص 432 ، ص 433 .

3- الحكمة المسكوت عنها : وتعنى بها ما يدق
على أفهام العوام وأصحاب الفطنة البتراء
فهمه ، من أسرار علوم الحقيقة ، التي بها
هلك من سمعها لسوء فهمه لمعاني
أسرارها .

3- الحكمة المجهولة : وهى ما خفى عن العباد
وجه الحكمة فى إيجاده ، مثل إيلام بعض
الحيوانات وخلود أهل النار فيها ، فإنه
تعالى أن تصل فائدة شئ من الأشياء ، مع

قدرته على إيصال المنافع إلى العبيد ، من غير إيلاء لأحد منهم ، فلكونه تعالى لا يفعل إلا المحكم المتقن ، صار ما يعد من هذا القبيل من الحكمة المجهولة .

47- الحياء

﴿ قَدْ جَاءَهُ بِحَقِّهَا ﴾ [القصص/25] ، وقال : ﴿ إِنَّ دَلِيلَكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الأحزاب/53] ، وأصل الاستحياء ، الاستبقاء على الحياة كقوله تعالى : ﴿ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [البقرة/49] ، والحياء شعبة من شعب الإيمان ، لما ورد عن أبي هريرة ﴿ قال : _____

1. المفردات ص 140 ، ولسان العرب 211/ 14 ،
وكتاب العين 3/317

" الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان " (1) ، وعن عبد الله بن مسعود ﴿ _____
_____ مر على رجل من الأنصار ، وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله : " دعه فإن الحياء من الإيمان " (2) .

□ □□□□□ □□□□□□□□ □□ □□□□□□ :

والحياء فى العرف الصوفى ، من جملة الأخلاق التى تتولد من علم العبد بنظر الحق إليه ، فيجذبه إلى تحمل المجاهدة ، ويحملة على استقباح الخيانة ، ويكفيه عن الشكوى عند البلوى ، ويدعوه إلى المحبة⁽²⁾ ، وروى عن الحارث المحاسبى (ت:243هـ) أنه قال : (الحياء هو الامتناع عن كل ما لا يرضاه الله تعالى وعلامته فى الظاهر انقباض جوارحه عن الانبساط ، وإن مشى طأطأ رأسه حياء من الله تعالى ، وقيل له : ما لذى يشين الحياء ؟ فقال : إثارة النفوس إلى موضع الأطماع)⁽³⁾ ، وينسب للجنيد بن محمد (ت:297هـ) : (الحياء من الله عز وجل أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة ، وسئل عما يولد الحياء فقال : رؤية العبد آلاء الله عليه ، ورؤية تقصيره فى شكره)⁽⁴⁾ ، وللحسين بن منصور الحلاج (ت:309هـ) : (حياء الرب أزال عن قلوب أوليائه ، شهود سرور الطاعة)⁽⁵⁾ .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب □□/□□□ □□□□□□ .
2. حياة القلوب ص 207 .
3. السابق ص 207 .
4. طبقات الصوفية ص 162 وانظر السابق ص 207 .
5. السابق ص 310 .

وروي عن بندار بن الحسين الشيرازي (ت: 353هـ) أنه قال : (إن المحبة رغبة وهي مزعجة ، والحياء خجلة ، والمحبة طالب غائب ، والمستحي حاضر وبينهما فرقان ، لأن المحبة تصح مع الغيبة ، والحياء يصح مع المشاهدة ، فشتان بين غائب غريب ، وحاضر قريب) (1) .

ولابن عربي (ت: 638هـ) في الحياء كلام نفيس ، يتحدث فيه مكتسباً بثوب أهل الظاهر متكلماً بلسانهم ، حيث جعله على فرض وسنة ، أما الفرض فالحياء من الله أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ، وأما السنة منه ، فالحياء من الله أن تكشف عورتك في خلوتك ، فالله أولى أن تستحي منه (2) ، والحياء يعم الأعضاء فكما أنه من الحياء غض البصر عن محارم الله ، كذلك يلزمه الحياء من الله أن يسمع ما لا يحل له سماعه من غيبة (3) .

ويقسم عبد الرزاق الكاشاني الحياء عند الصوفية ، إلى درجتين قريبتين من الأصول القرآنية (4) :

1- حياء العامة : وهو ما يحدث لهم عند علمهم بنظر الحق إليهم ، فإن العبد إذا علم أن الحق ناظر إليه استحي منه ، وهذا هو الحياء الذي يجذب العبد إلى كمال تحمل المجاهدة ، واستقباح الجناية ، وصاحب هذا الحياء هو الذي

فمعناه لا يصح عليه الموت وليس ذلك إلا لله عز وجل .

2- الحياة بمعنى القوة النامية الموجودة فى النبات والحيوان ، ومنه قيل : نبات حى ، وقال تعالى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد/17] وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء/30] .

3- الحياة بمعنى القوة الحساسة ، وبه سُمى الحيوان حيوانا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ [فاطر/22] ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي _____

1. لسان العرب 14/214 ، المفردات ص 138،139 .
الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت/39]
فقوله : إن الذى أحيها ، إشارة إلى القوة النامية ، وقوله لمحى الموتى ، إشارة إلى القوة الحساسة .

4- الحياة بمعنى القوة العاقلة العالمة ، كقوله تعالى :

﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام/122] .

5- الحياة الدنيا المنقضية ، وهى المدة التى يقضيها البشر على الأرض فى فترة الابتلاء ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [النارعات/38] وقال : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ [يس/70] (1)

ويشهد لهذا ما روى عن الجنيد أنه قال : (الحى من كانت حياته بحياة خالقه لا من تكون حياته ببقاء هيكله) (2) ، ويقول عبد الكريم الجيلى : وجود الشئ لنفسه حياته التامة ، ووجود الشئ لغيره حياة إضافية ، ولهذا التحق بها الفناء والموت (3) ، ولعل المعنى إلى هذا الموضوع لا يخالف الأصول القرآنية ، ولكن يذكر الكاشانى للحياة فى الاصطلاح الصوفى معنى فلسفيا ، فيعنون بالحياة وصول السائر إلى المقام الذى فوق المعاينة ، التى هى فوق المشاهدة المرتفعة عن المكاشفة ، وذلك بأن تتجلى الحقائق بأعيانها وأوصافها ، وخصوصياتها على وجه لا يحجب الوصف عن العين ، فيسمى ذلك التجلى حياة ، لأن صاحبه يأمن من موت الاعتلال فى شئ من الأحوال ، ومن موت الانفصال عن العين بهذا الاتصال ، ومن موت الغيبة عن أزل الأزال ، وعند ذلك يتحقق بالوصول إلى نهاية الآمال فيحيا بحياة الكبير المتعال ، وإلى التحقق بهذه الحياة أشار عمرو بن الفارض بقوله :

1. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوى 2/100 .

2. السابق 2/100 .

3. الإنسان الكامل للجيلى 1/49 .

فلا حى إلا عن حياتى حياته وطوع
مرادى كل نفس مريدة

والحياة عند ابن عربي وصف كل شئ فى
الأكوان ، سواء كان حيا أو جمادا فى العرف ،
وعلته فى ذلك أن جميع المخلوقات مسبحة ،
ومن ثم فهى حية لأن التسبيح لا يكون إلا من
حى ، وهذه الحقيقة عنده لا يقر بها إلا المؤمن
أو صاحب الكشف ، فالمؤمن يقر بها للسند
القرآنى ، وصاحب الكشف يقر بها شهودا وعيانا
، فهو يشهد تسبيح كل الموجودات من الجماد
وغيره ، وبالتالي يشهد حياتهم ، يقول : (إن
الموجودات كلها ، ما منها إلا من هو حى ناطق
أو حيوان ناطق ح ، تسمى جمادا أو نباتا
أو ميتا ، لأنه ما من شئ ، من قائم بنفسه
وغير قائم بنفسه ، إلا وهو مسبح ربه وبحمده ،
وهذا نعت لا يكون إلا لمن هو موصوف بأنه
حى) (1) ، ويقول ابن عربي : (وما ثم شئ إلا
وهو حى ، فإنه ما من شئ إلا وهو يسبح بحمد
الله ، ولكن لا نفقه تسبيحه إلا بكشف إلهى ،
ولا يسبح إلا حى ، فكل شئ حى) (2) ويرى ابن
عربي أن الحى الحقيقى ، هو الإنسان الكامل ،
وهو الذى جعل حياته بالله فيقول (3) :

1. ديوان ابن الفارض ص 61 ، وانظر لطائف الإعلام
1/436 .

2. فصوص الحكم 1/170 .

3. الفتوحات المكية 3 / 490 وانظر النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم تأليف الشيخ الإمام أحمد بن طغريك طبع المطبعة الميمنية بمصر أحمد البابي الحلبي ، سنة 1308هـ ص 44 وما بعدها ، ويمكن القول إن كلام ابن عربي صحيح من وجه ومخالف للأصول القرآنية من وجه آخر ، فما ورد في الأصول القرآنية والنبوية في مسألة =
 لله قوم وجود الحق عندهم
 الأحياء إن عاشوا وإن ماتوا هم

= إثبات الكلام للمخلوقات على الحقيقة أو على المجاز ، يدل على صدق ابن عربي من جهة أن كل شيء في الأنام له لغة ونطق وكلام ، وأنه يتخاطب مع بنى جنسه في انسجام تام ، فكل مخلوق له قول ولغة تخصه ، يتحدث بها مع بنى جنسه ، شأنهم في ذلك شأن البشر ، واختلافهم في اللغات والأجناس والصور ، فكما أن الإنسان لا يفهم إلا لغة أخيه الإنسان ، الذي يتكلم بنفس اللسان ، كذلك موقفه من اللغة التي يسمعها من هذه المخلوقات أو ما يراه بينها من إشارات ، فإن لها رموزا وشفرة وكلاما فيه عبرة ، ولهم قانون ونظام ، ومنهج وأحكام ، يتكاتفون في إظهاره ويتعاملون بينهم من خلاله ، والله يسمع قولهم وكلامهم ، ويعلم تسبيحهم ونظامهم كما قال : **الْمَ تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ**

وقال سليمان : ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا
مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْقَصْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل/16] .

ومن ثم فالله وحده هو الذى أنطقهم جميعا ،
وهو وحده الذى يمكن أن يخاطبهم جميعا ، ويسمع
تسبيحهم جميعا ، وربما يعترض معترض ، كيف
يكون للحجارة والمعادن قول وكلام ونحن نراها لا
تتكلم ؟ وقد قال الله تعالى عن إبراهيم : ﴿
فَاسْأَلُوهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَارْجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ
فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء/63:65] ، وقال
سبحانه وتعالى منكرًا على بنى اسرائيل ، أنهم
عبدوا العجل من دون الله : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ
مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوُا
أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا
ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف/148] ، فكيف يكون للحجارة قول
ولغة ومنطق ؟ وجواب ذلك أن الله ركب
المخلوقات على النسب والاعتبارات والعلل
والمعلولات ، فكل نوع من المخلوقات متكلم ناطق
باعتبار من يفهم قوله وكلامه ؟ أبكم وأصم باعتبار
من لا يفهمه ؟ فالنمل باعتبار جنسه كلُّ يَفْهَمُ كَلَامَ
الآخر والعالم بقولهم ومفردات الخطاب بينهم ،
يمكن أن يسمعهم وهم يتخاطبون أو يتحدثون ؟
وقد سمعهم سليمان وهم يقولون : ﴿ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل/18] ، وهكذا القول فى كل نوع
من المخلوقات ، فإنه متكلم ناطق ، سواء أدرنا

قوله أولم ندركه ، أو اعتبره البعض متكلما أو لم
يعتبره =

اللَّهُ كَرَمَهُمُ اللَّهُ شَرَفَهُمُ اللَّهُ يَحْيِيهِمْ
به إذا ماتوا

= فالحقيقة التي لا شك فيها أن رب العزة والجلال
علم منطقتهم جميعا ، ويسمع تسبيحهم جميعا ويرى
صلاتهم جميعا ، فهو الذي أحاط بكل شئ علما ،
وأحصى كل شئ عددا أحاط بكل مخلوق ونظامه ،
في قوله وكلامه وصدق الله في كتابه ، إذ يقول : ﴿
كُلُّ قَدٍّ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [النور/41] ، ﴿ وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾
[الإسراء/44] ، فالحجاره لها قول باعتبار جنسها صماء
باعتبار النظر إلى قول البشر ، والحيوانات لها قول
اعتبار جنسها ، خرساء باعتبار النظر إلى قول البشر
، والله تعالى قادر على أن يُنطق هذه المخلوقات
بقول البشر وما هو أفضل من قولهم ، وقد ثبت عن
أبي هريرة ؓ ؓ ؓ ؓ ؓ ؓ صلى صلاة الصبح ثم
أقبل على الناس فقال : بئنا رجل يسوق بقرة إذ
ركبها فصربتها ، فالتفت إليه البقرة ، وقالت لراكبها :
إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحزب ، فقال الناس :
سبحان الله أبقره تتكلم؟! فقال : فإني أومن بذلك
أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم ، وبئنا رجل في
عتمه يرعى إذا جاء ذئب فأخذ منها شاة وكان الراعى
قد غفل عنها ، فانتبه الراعى على صياحها فأدركها
واستنقذها من الذئب ، فقال له الذئب بلغه فصيحة

اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [آل عمران/5:6] .

فكلام ابن عربي مقبول من هذا الوجه ، أما الوجه
الآخر فإنه استدل بهذا على وحدة الوجود ، وجعل
ذلك دليلا على حياة الله السارية فى الأكوان ، فجميع
الأحياء هى له مجالى وتعينات ، وليست
مخلوقات مستقلة خلقت للعبادة وتوحيد الله .

1. السابق 395 /4 .
كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ۖ
[الأنعام/71] ، والحائر الموضع الذى يتحير به الماء
(1)

وقال مجاهد : ۖ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورِ عَيْنٍ ۖ
[الدخان/54] أنكحناهم حورا عينا يحار فيها الطرف
(2) ، وفى الحديث القدسى عن ابن عمر ۖ ۖ
ۖ ۖ إن الله تعالى قال : " لقد خلقت خلقا ،
ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من

وروى عن أبي بكر الواسطى (ت: بعد 320هـ) أنه قال : (حيرة البديهة أجل من سكون التولى عن الحيرة) ⁽¹⁾ ، ويقسم الكلاباذى (ت: 380هـ) الحيرة إلى نوعين ⁽²⁾ :

أ- الحيرة الأولى : وتكون فى أفعاله به ونعمه عنده ، فلا يرى شكره نعمة يجب عليه شكرها ، ولا يرى أفعاله أهلاً أن يقابله بها استحقاقاً لها ، ويراهما واجبة عليه ، لا يجوز له التخلف عنها ، ومثالها أن أبا بكر الشبلى ، قام يوماً يصلى فبقى طويلاً ثم صلى ، فلما انفتل عن صلاته ، قال : يا ويلاه إن صليت جحدت ، وإن لم أصل كفرت ، أى جحدت عظم النعمة ، وكمال الفضل حيث قابلت ذلك بفعل شكري له مع حقارته ، ثم أنشد :

الحمد لله على أننى

كضفدع يسكن فى اليم

إن هى فاهت ملأت فمها أو

سكتت ماتت من الغم

ب- الحيرة الأخيرة : أن يتحير فى متاهات التوحيد ، فيضل فهمه ويخنس عقله فى عظم قدرة الله تعالى ، وهيبته وجلاله ، كما قيل : دون التوحيد متاهات تضل فيها الأفكار . وقال أبو نصر السراج الطوسى (ت:

387هـ) : (الحيرة بديهة ترد على

1. اللمع ص 421 .
2. التعرف لمذهب أهل التصوف ص 137 .
- قلوب العارفين ، عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم ، تحجبهم عن التأمل والفكرة (1) .
- والحيرة عند ابن عربي يعنى بها حيرة النظر فى وحدة الوجود ، والحائر هو الذى يرى عين الحق متجليا فى صورة الممكنات ، ويعلم أن الله قابل لكل معتقد كان ، فمن باب الحيرة عنده ما ورد فى قوله تعالى : « وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » [الصافات/96] وقوله : « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ » [الأنفال/17] وكذلك قوله سبحانه : « فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ » [الأنفال/17] والقتل ما شوهد إلا من المخلوق ، وهذا يعنى أن الصوفى حيرة نبعت من اجتماع الأضداد فىرى الحق خلقا ويرى الخلق حقا ، ويظل حائرا فى وحدة الوجود ، لا يدرك حقا وحده أو خلقا وحدة ، بل حقا فى خلق ، وخلقاً فى حق فيتحير ، فالوصول إلى الحيرة فى الحق هو عين الوصول إلى الله ، والحيرة أعظم ما تكون لأهل التجلى لاختلاف الصور عليهم فى العين الواحدة (2) .

وبهذا يفسر قوله تعالى : « وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا » [نوح/24] أى أضل قوم نوح كثيرا من أهل العلم وحيرتهم فى تعداد الواحد بالوجوه والنسب « وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ » [نوح/24] لأنفسهم « إِلَّا ضَلَالًا »

[نوح/24] إلا حيرة المحمدي الذي قال : زدني فيك تحيرا (3) .

1. اللمع ص 421 .
2. انظر في معنى الحيرة عند ابن عربي الفتوحات المكية 1/270 ، 3/490 .
3. ليس حديثا ، ولا وجود له في كتب السنة ، وغنما هو من وضع ابن عربي .

فالحائر له الدور ، والحركة الدورية حول القطب ، فلا يبرح منه ﴿ مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أُعْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ [نوح/25] فهي التي خطت بهم ، فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة (1) .

50 - الخاصة

﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال/25] أي تعمكم ، ومن حديث جابر بن عبد الله ﴿ قال : " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعث إلى الناس عامة " ﴾ (3) ، وقال عمر بن الخطاب ﴿ : " إلى قومه خاصة ، ولم يخصص بها أحدا غيره ، قال تعالى : ﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾

مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ (١) " ، وعن
 عبد الله بن عمرو بن العاص " قال : " كيف بكم وبزمان ، يغربل الناس
 فيه غربلة ، تبقى حثالة من الناس قد مرجت
 عهودهم وأماناتهم واختلفوا ، فقالوا : وكيف بنا
 يا رسول الله ؟ قال : _____
 1. الفصوص 1/72 .
 2. لسان العرب 7/24 .
 3. أخرجه البخارى فى التيمم () .
 4. أخرجه مسلم فى كتاب الحج () .
 تأخذون ما تعرفون ، وتذرون ما تنكرون ،
 وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم
 " (1)

وقد يعبر عن الفقر الذى لم يسد بالخصاصة
 ، كما روى عن أبى هريرة " ما معنا إلا الماء ،
 فبعث إلى نسيائه فقلن : " ما معنا إلا الماء ،
 فقال رسول الله : " من يضم أو يضيف هذا
 فقال رجل من الأنصار : أنا فانطلق به إلى
 امرأته ، فقال : أكرمي ضيف رسول الله
 فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني فقال : هيئي
 طعامك وأصبحي سراجك ، ونومي صبيانك إذا
 أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها
 ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها
 فأطفأته ، فجعل يريانه أنهما ياكلان فباتا طاويين
 ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ، فقال :

ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما ، فأنزل
الله : ۞ وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ۞ [الحشر/9] " (2) .

والخص بيت من قصب أو شجر وذلك لما
يرى فيه من الخصاصة وروى عن عبد الله بن
عمرو ۞ : " ۞ ۞ ۞ ۞ ۞ ۞ ، ونحن
نعالج خصا لنا وهي ، فقال : ما هذا ؟ فقلنا :
خص لنا وهي ، فنحن نصلحه ، فقال رسول
الله ۞ : ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك " (3) .

1. أخرجه أبو داود فى الفتن والملاحم (۞) وقال
الألبانى : صحيح 4/123 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب ۞/۞ (۞) .
3. أخرجه أبو داود فى الأدب (5235) وصحه الألبانى
4/360 .

وقد خصه بكذا يخصه ميزه بالأمر دون غيره
، كقوله تعالى : ۞ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ [البقرة/105] ، وعن أبي
هريرة ۞ ۞ ۞ ۞ ۞ ۞ قال : " لا تختصوا ليلة
الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخاصوا يوم
الجمعة بصيام من بين الأيام ، إلا أن يكون في
صوم يصومه أحدكم " (1) .

وقال سلمة بن الأكوع ۞ : " ۞ ۞ ۞ ۞ ۞ ۞
۞ ۞ ۞ ۞ ۞ ۞ لإنسان يخصه إلا استشهد " (2) ، وعن

بريدة بن الحصيب : " إذا أمر أميراً على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً " (3) .

بَرِيدَةُ بْنُ الْحَصِيْبِ : إِذَا

أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا (3) .

بَرِيدَةُ بْنُ الْحَصِيْبِ : إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا (3) .

بَرِيدَةُ بْنُ الْحَصِيْبِ : إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا (3) .

بَرِيدَةُ بْنُ الْحَصِيْبِ : إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا (3) .

وخواطرها ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفى ، وكيفية الإخلاص من ذلك ، وكيفية وجه الإنابة إلى الله عز وجل وصدق الالتجاء ، ودوام الافتقار والتسليم والتفويض والتبرى من الحول والقوة ، ولهم أيضا على حد زعمه مستنبطات فى علوم مشكلة على مفهوم الفقهاء والعلماء ، لأن ذلك لطائف مودعة فى إشارات لهم ، تخفى فى العبارة من دقتها ولطافتها ، فالصوفية عند السراج الطوسى مخصوصون من أولى العلم القائمين بالقسط بحل هذه العقد والوقوف على المشكل من ذلك (1) .

من الممكن كما ذكر الطوسى أن يكون البعض ممن نسب إلى الصوفية متصفا بهذه الأوصاف أو أكثر منها ، لكن الزعم بأنهم ينفردون بهذا دون غيرهم فالأمر منه بعيد ، وأولى ما يذكر فى تقسيم العامة والخاصة لدرجات المسلمين تقسيم القرآن ، إذ يقول الله تعالى عن أصحاب اليمين : ﴿عُرِّبًا أُنْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة/40:37] وقال عن السابقين الأعلى فى المنزلة من أصحاب اليمين : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة/14:10] فما الدليل على أن الصوفية هم السابقون السابقون ، وبقية

العلماء مفسرون ومحدثون وفقهاء ، يأتون متأخرين عن الصوفية ؟

ومعلوم أن أغلب الأولين فى الآية من السابقين والصحابة والتابعين لا يعرفون الصوفية وربما لم يسمعوا عنها ، وهذا يعنى أن الخاصة من عامة المسلمين هم

1. اللمع ص 28 : ص 33 .

الأعلى فى درجة التقوى ، كما قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات/13]

فالقول بأن الصوفية دون غيرهم من عامة الناس أو سائر الطوائف هم الخاصة قول باطل جملة واحدة .

ويمثله ما ذكره السراج الطوسى من تفضيل الصوفية على غيرهم ، وتفضيل أصحاب الوحدة على بسطاء الصوفية ، ما ورد عن عبد الرزاق الكاشانى حيث قال : (الخاصة هم علماء الطريقة وخاصة الخاصة هم علماء الحقيقة) (1)

(1)

51 - الخاطر

المصطلح : هو : المصطلح هو : (٥) :

- المصطلح هو : وهو يقول : " اللهم اغفر للمحلقين ، اللهم اغفر للمحلقين ، فقال رسول الله في الثالثة أو في الرابعة : " والمقصرين

1. لطائف الإعلام 1/441 .

2. لسان العرب لابن منظور 4/249 ، والمصباح المنير للمقرئ 1/173 ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي 1/494 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة (خطر) .

ثم ، قال : وأنا يومئذ مخلوق الرأس ، فما يسرني بحلق رأسي حمر النعم ، أو خاطرا عظيما " (1) .

2- الاضطراب والحركة : كقول ابن عباس : " المصطلح هو : يومًا يصلي فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : " ألا ترى أن له قلبين ، قلبا معكم ، وقلبا معهم فأنزل الله عز وجل : " مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ " [الأحزاب/4] " (2) .

3- ما يرد على القلب بسرعة لا لبث فيها ولا بقاء ، فعن أبي هريرة : " إذا نودي بالصلاة ، أدبر الشيطان وله ضراط ، فإذا

سبحانه وإلقائه في القلب فهو خاطر حق ،
 وجملة ذلك من قبيل الكلام النفسى ⁽¹⁾ .
 يقول الحارث المحاسبى (ت:243هـ) فى
 المتيقظين لخواطر السوء : (وكذلك من اشتغل
 بالله عز وجل ، رد الخاطر - يعنى خاطر
 الشيطان - باشتغال قلبه بربه ، فهذه الفرقة
 للقرآن والسنة والصالحين أتبع ، وعلى رد
 الخطرات أقوى وأبعد من الخدع والنقص ، فهم
 فى الاشتغال بربهم دائبون ، وبالحدز إذا عرض
 الخاطر متيقظون ، وبقوة الاشتغال بالله ،
 يسهل عليهم فحص الخواطر إذا عرضت بفتنة ،
 فسلموا أو غنموا ، واتبعوا واستقاموا) ⁽²⁾ .
 ويذكر لسهل بن عبد الله التستري (ت:
 293هـ) تفصيل دقيق فى التعرف على الخواطر
 ومصادرها ، وكيف أنها ابتلاء من الله ، فىرى
 أن الخواطر إذا كانت عن أواسط الهداية ، وهى
 الملك والروح ، قدحت فى قلب العبد نورا

1. اللمع ص 263 .

2. الرعاية لحقوق الله ص 162 ، 163 .

أدركه الحفظة ، وهم أملاك اليمين فأثبتوها
 حسنات ، وكانت تقوى وهدى ورشدا من خزائن
 الخير ومفتاح الرحمة ، وإن كانت الخواطر عن
 أواسط الغواية وهم العدو والنفس ، قدحت فى

القلب ظلمة ونتاجنا ، أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال ، فكتبوها سيآت ، وكانت فجورا وضللا ، وهى من خزائن الشر ومعالق الأعراض ، وكل هذا إلقاء من خالق النفس ومسويها ، وجبار القلوب ومقلبها ، حكمة منه وعدلا لمن شاء ، ومنة وفضلا لمن أحب (1) .

ويروى عن أبى الحسن المزين (ت:328هـ)

أنه قال : (للقلوب خواطر يشوبها شئ من الهوى ، لكن العقول المقرونة بالتوفيق ، تزجر عنها وتنهى والتوحيد أن توحد الله بالمعرفة ، وتوحده بالعبادة ، وتوحده بالرجوع إليه فى كل ما لك وما عليك ، وتعلم أن ما خطر بقلبك ، فالله تعالى بخلاف ذلك وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه ، باينهم لصفاته قدما ، كما باينوا بصفاتهم حدثا) (2) .

وقد أجاد أبو طالب المكى (ت:386هـ) حين

استقصى كل ما يتعلق بالخواطر فى النفوس ، وقسمها تقسيما دقيقا أحسب أنه لم يسبق إليه فى عصره فجعلها عدة أقسام (3) :

1. من التراث الصوفى ص 172 ، وانظر قوت القلوب
123 /1 .

2. السابق ص 384 .

3. انظر قوت القلوب 1 /114 ، 115 .

(1- خاطر النفس وخاطر العدو ، وهذان لا
يعدمهما عموم المؤمنين ، وهما مذمومان
محكوم لهما بالسوء ، ولا يردان إلا بالهوى وضد
العلم .

(2- خاطر الروح وخاطر الملك ، وهذان لا
يعدمهما خصوص المؤمنين ، وهما محمودان لا
يردان إلا بحق ، وبما دل عليه العلم .
(3- خاطر العقل وهو متوسط بين هذه الأربعة ،
وهو على نوعين :

أ - يصلح للمذمومين ، فيكون حجة على العبد
لما كان من تمييز العقل وتقسيم
المعقول ، لأن العبد يدخل فى هواه بشهوة
جعلت له ، واختيار لا يعسر عليه من حيث
لا يعقل ولا إجبار .

ب - يصلح أيضا للمحمودين ، فيكون شاهدا
للملك ، ومؤيدا لخاطر الروح ، ويثبات العبد

على حسن النية وصدق المقصد ، وبين
المكى أن خاطر العقل ، إنما كان مع
النفس تارة ، ومع الملك تارة أخرى حكمه
من الله تعالى وإتقانا لصنعه ، ليدخل العبد
فى الخير والشر بوجود معقول وصحة
شهود وتمييز ، فيكون عاقبة ذلك من
الجزاء والعقاب عائدا له وعليه ، فالله
سبحانه وتعالى جعل الإنسان مكانا لجريان
أحكامه ، ومحلا لنفاذ مشيئته فى مبانى
حكيمته .

(4- خاطر اليقين وهو روح الإيمان ، والعمل
الذى يحرك الإرادة على الطاعة والاستجابة ،
كمحصلة للخواطر الإيمانية المتقدمة ⁽¹⁾ .

1. انظر السابق 1/ 127 ، وهذا التقسيم تقسيم نفيس
يتوافق مع الأصول القرآنية =

ويعرض المكى أيضا ، كيف يمكن للإنسان
أن يفرق بين أنواع الخواطر ومصادرها ،
والسلوك الأمثل حيالها ، فيحدد ذلك فيما يلى)
(1) :

- [1] - ما كان من لائح يلوح فى القلب ، من معصية ثم يتقلب فلا يثبت فهذا نزع من قبل العدو .
- [2] - ما كان فى القلب من هوى ثابت ، أو حال مزعج دائم لابت ، فهو من قبل النفس الأمانة بطبعها ، أو مطالبة منها بسوء عاداتها .
- [3] - ما ورد على العبد من همه بخطيئة ، ووجد العبد فيها كراهيتها فالخاطر مركب :
- أ - الورد من قبل العدو

ب - والكراهية من قبل الروح والإيمان .

= والنبوية وما يؤخذ عليه هو تسمية نازع الشر والهوى بالنفس ، ونازع الخير بالروح فهم أرادوا بالنفس ما كان معلولا من أوصاف العباد ، أما النفس التى ورد ذكرها فى القرآن ، فهى على ثلاثة أنواع يشمل ، النفس المطمئنة ، والنفس اللوامة ، والنفس الأمانة بالسوء ، كما أن الله تعالى قال فى كتابه الكريم : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس/8:7] ، فجمع فى النفس بين جانبين نفسيين متقابلين ومتضادين ، أحدهما

يدعو إلى الخير والآخر ويحض الإنسان عليه ،
والثانى يدعو إلى الشر ويرغبه فيه ، والإنسان
بينهما من حيث الاستجابة بالاختيار فى القبول أو
الرد كما أن النفس تطلق فى القرآن ويراد بها
معان أخرى . 1. انظر السابق 1 / 127 .

[4 - ما وجد من هوى أو معصية ، ثم ورد
عليه المنع من ذلك ، فالخاطر مركب أيضا
:

أ - الهوى من قبل النفس .

ب - المنع من قبل الملك .

[5- ما وجده عن خوف أو حياء ، أو ورع أو
زهد ، وما شهدته من تعظيم وهيبة وإجلال
فهذا كله من إرادة اليقين ، وهو من مزيد
الإيمان ⁽¹⁾ .

1. تشهد الأصول القرآنية والنبوية لمعظم ما أورده أبو
طالب المكى من أركان أساسية لتشكيلة الخواطر
فى قلب الإنسان ، فدل قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّأَهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس/
8:7] على وجود نازعين نفسيين متقابلين ومتضادين
ليس لأحدهما غلبة على الآخر ، أو جدهما الحق

تبارك وتعالى فى القلب على سبيل الإبتلاء والامتحان ، تنبعث منهما الخواطر فى الجنان بين أصبعين من أصابع الرحمن الأول ويسمى نازع الخير وفطرة الإنسان ومبعث التقوى والإيمان ، والثانى يسمى نازع الشر والهوى ومبعث الفجور فى الإنسان ، وهذان النزاعان يسهمان فى تشكيل الخواطر خيرها وشرها فى منطقة حديث النفس ، قال ابن القيم : (هياً الله الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والاستعداد ثم ذكر هذه الآية : **وَتَنفَسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**) ثم قال : أخبر الله عن قبول النفس للفجور والتقوى وأن ذلك نالها منه امتحانا واختبارا ، ثم خص بالفلاح من زكاها فنماها وعلاها ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأوليائه وهي التقوى ، ثم حكم بالشقاء على من دساها فأخفاها وحقرها وصغرها وقمعها بالفجور (انظر مدارج = ويقول الكاشانى : (الخاطر عند الصوفية يطلق على ما يخطر بالبال ، ويطلق أيضا على القلب ، وهذا من باب إطلاق الحال على المحل ، والخطر هو ما

= السالكين 381 / 2 ، وقد دلت الأصول النبوية على وجود هاتفين ، يهتفان بلمتين أحدهما هو الشيطان

، والأخر هو الملك ، فعن عبد الله بن مسعود ؓ : " ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإيائي ، إلا أن الله أعانني عليه ، فلا يأمرني إلا بخير " أخرجه مسلم فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار 4/2168 ، ومن حديث ابن مسعود ؓ : " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان ، فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك ، فأيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك ، فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم " أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، وبهذا تظهر تشكيلة الخواطر التى تتردد على فى النفس من النازعين والهاتفين ، وعند التحقيق ، وعلى ما ذكره أبو طالب المكى فى نوعيات الخواطر التى تتردد على القلب إما مفردة وإما مركبة فإن نوعيات الخواطر بهذه القسمة تنحصر فى ستة عشر نوعية ، إما خاطر ينبعث من نازع التقوى ، أو خاطر ينبعث من نازع الهوى ، أو خاطر ينبعث من الملك ، أو خاطر ينبعث من الشيطان ، أو خاطر مركب ينبعث من

الملك ويشبطه الشيطان أو من الهوى ويشبطه نازع التقوى أو ينبعث من الهوى ويشبطه إحياء الملك أو أو ينبعث من الشيطان ويشبطه نازع التقوى أو ينبعث من الشيطان ويشبطه إحياء الملك ، ولكل من هذه الخواطر امثلة لا يحصيها إلا الله .

1. لطائف الإعلام 1/ 439 ، 441 وانظر للتوسع والمقارنة فى الخواطر عند الصوفية اللمع ص 418 وما بعدها ، وروضة الطالبين لأبى حامد الغزالى ص 9 ، ورسالة المسترشدين للمحاسبي ص 63 ، وانظر آراء ابن عربى فى الخواطر فى الفتوحات المكية 2/32 ، 2/565 وما بعدها ، 3/61 ، 3/97 ، 2/77 وما بعدها ، 4/152 وشرح التجليات ص 156 وما بعدها .

كتابا ، أو أراد أن يكتب ، ف قيل له : إنهم لا يقرءون كتابا إلا مختوماً ، فاتخذ خاتما من فضة نقشته ، محمد رسول الله كآني أنظر إلى بياضه في يده " (1) .

وقد يكون فى بدن النبى للدلالة على صدقه ، لما روى عن السائب بن يزيد ؓ : " ؐ ؐ ؐ ؐ ، إن ابن أختي وجع ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ ، فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة " (2) .

فيما يرى الناس عمل أهل النار ، وهو من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بخواتيمها " (2) .

(2- الختم فى المعنويات تشبيها بما سبق ،
فقوله تعالى : ﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة/7] ،
وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَحَتَّمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الأنعام/46] ،
إشارة إلى ما أجرى الله به العادة ، أن الإنسان إذا تنهى فى اعتقاد باطل ، أو ارتكاب محذور ، ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق ، يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصى ،
وكانما يختم بذلك على قلبه (3) .

وعن أبي هريرة ؓ ؓ ؓ ؓ ؓ ؓ قال : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا

1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين ؓ/ؓؓؓ (ؓؓؓ) .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق ؓ/ؓؓؓ (ؓؓؓ) .

3. لسان العرب 12/163 ، والمفردات فى غريب القرآن ص 142،143 ، ومختار الصحاح 1/71 ، وكتاب العين 4/241 .

كمال تلك المرتبة ، كما سمي نبينا ﷺ خاتم
الأنبياء لأجل ذلك ، وسمى خاتمهم لكونه آخرهم
ﷺ . (1)

وتارة يعنى بالختم من يختم الله به الولاية
، كما ذكر الحكيم الترمذى فى شأن خاتم
الأولياء وصفته : (وما صفة ذلك الولي الذليله
إمامة الولاية ورياستها وختم الولاية ؟ قال : ذلك
من الأنبياء قريب ، يكاد يلحقهم ، قال : فأين
مقامه ؟ قال : فى أعلى منازل الأولياء ، فى
ملك الفردانية ، وقد انفرد فى وحدانيته
ومناجاته ، كفاحا فى مجالس الملك وهدياه من
خزائن السعى ، قال : وما خزائن السعى ؟ قال
: إنما هى ثلاث خزائن : المنن للأولياء ، وخزائن
السعى لهذا الإمام القائد ، وخزائن القرب
للأنبياء عليهم السلام ، فهذا خاتم الأولياء ،
مقامه من خزائن المنن ، ومتناوله من
خزائن القرب ، فهو فى السعى أبدا) (2) .
وختم الولاية عند ابن عربى يرد على نوعين
:

1. لطائف الإشارات 1/60 .

2. ختم الأولياء ص 367,368 وانظر الدراسة التى
قدمها الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة عن الحكيم
الترمذى ، بعنوان الحكيم الترمذى ونظريته فى

الولاية ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف القاهرة سنة 1391هـ ، 1971م ، وانظر أيضا السلوك عند الحكيم الترمذى ومصادره من السنة ، إعداد أحمد عبد الرحيم السايح رسالة دكتوراه ، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر الشريف القاهرة سنة 1986م .

أ- ختم الولاية العامة ، وهى للذى لا يوجد بعده ولى ، وهو عندهم عيسى عليه السلام ، يقول ابن عربى : (فيكون عيسى عليه السلام خاتم الأولياء وهو أفضل هذه الأمة المحمدية ، فإنه وإن كان وليا فى هذه الأمة والملة المحمدية ، فهو نبى ورسول فى نفس الأمر) (1) .

ب- ختم الولاية الخاصة ، وهى لرجل من العرب ، جمع علم كل ولى محمدى ، هو خاتم النبوة المطلقة يختم الله به الولاية المحمدية ، فكما أن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة الشرائع ، كذلك ختم الله بالختم المحمدى الولاية التى تحصل من الورث المحمدى (2) .

وختم هذه الولاية المحمدية يدعيه ابن عربى لنفسه فقال (3) :

أنا ختم الولاية دون شك
الهاشمى مع المسيح
لورث

ويطلق الخشوع على شدة الخضوع والتذلل المصحوب بالرجفة ، قال تعالى : ﴿ وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء/109] ، وقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون/2] ، وقال : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء/90] .

ومن حديث النعمان بن بشير ؓ : " إن ناسا يزعمون أن الشمس والقمر ، لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء ، وليس كذلك إن الشمس والقمر ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل ، إن الله عز وجل إذا بدا لشيء من خلقه خشع له ، فإذا رأيت ذلك ، فصلوا كأحدث صلاة صليتموها من المكتوبة " (1)

ويطلق الخشوع أيضا على التواضع بالمسكنة ، كما قال ابن عباس ؓ : " التواضع هو الخشوع ، متواضعا ، متبذلا متخشعا متضرعا ، فصلى ركعتين كما يصلي في العيدين ، ولم يخطب خطبتكم هذه " (2) .
وعن أبي هريرة ؓ : " هل ترون قبلي ها هنا ؟ فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم إنني لأراكم من وراء ظهري " (3)

1. أخرجه النسائي في كتاب الكسوف / () ،
 وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة / () ،
 وأحمد في المسند () ، ورواه ابن خزيمة في
 صحيحه (1402) 2/329 وهو حديث صحيح .
 2. أخرجه النسائي في كتاب الاستسقاء () وهو
 حديث حسن ، 3/163 .
 3. أخرجه البخارى في كتاب الصلاة / () .
 ومن حديث عمرو بن سعيد [] [] [] []
 : " ما من امرئ مسلم تحضره صلاة
 مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها ،
 إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت
 كبيرة ، وذلك الدهر كله " (1) .
- ويستعمل الخشوع فى القلب والجوارح ،
 وإن كان خشوع الجوارح لازم لخشوع القلب
 لأنها تتبعه ، فقولته تعالى : **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
 وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** [البقرة/
 45] يدل عليهم معاً ، فمن خشوع القلب قوله
 تعالى : **الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ
 لِذِكْرِ اللَّهِ** [الحديد/16] وعن زيد بن أرقم [] [] [] []
 يقول :
 " اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن
 قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشيع ، ومن
 دعوة لا يستجاب لها " (2) .

ومن خشوع الجوارح قوله تعالى في خشوع الصوت : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه/108] ، وقوله في خشوع البصر : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ [القلم/43] ، وفي خشوع جميع الجوارح ، ما ورد عن علي بن أبي طالب ؑ : " اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي وبصري ، ومخي وعظمي وعصبي " (3) ، وفي رواية أخرى عن علي ؑ :

﴿ ﴾

1. ﴿ ﴾ .

2. ﴿ ﴾ .

3. ﴿ ﴾ .

" " .

..... " (4) .

..... : " " .

..... " (4) .

..... :

قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والانقياد للحق ، واتفقوا على أن الخشوع محله القلب ، وقد استبدلوا له بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون/2] (3) ، وأقوالهم فيه تتوافق مع الأصول القرآنية ، روى عن الفضيل بن عياض (ت) :

187هـ) : (كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع ، أكثر مما فى قلبه) (4) ، وروى عن أبى سليمان الدارانى (ت:215هـ) قال : (لكل شئ حلية ، وحلية الصدق الخشوع) (5) وللجنيد بن محمد (ت:297هـ) لما سئل عن الخشوع ؟ قال : (تذلل القلوب لعلام الغيوب) (6) .

1. أخرجه أحمد فى المسند(□□□□) والترمذى فى كتاب الدعوات (3421) وقال الشيخ الألبانى : صحيح . 5/485 .

2. أخرجه النسائى فى كتاب التطبيق(□□□□) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 2/192 وأخرجه بن خزيمة فى صحيحه (607) 1/306 .

3. الرسالة القشيرية 1/380 .
4. السابق 1/383 .

5. طبقات الصوفية ص 81 . 6. الرسالة القشيرية 1/382 .

وينسب للحكيم الترمذى (ت:320هـ) أنه قال : (الخاشع من خمدت نيران شهوته ، وسكن دخان صدره ، وأشرق نور التعظيم فى قلبه ، فماتت شهوته ، وحى قلبه ، فخشعت جوارحه) (1) ، وروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) أنه قال فى قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان/63] معناه : متواضعين متخاشعين (2) .

ويقسم الهروى الخشوع إلى درجات ثلاث:
الأولى : التذلل للأمر ، والاستسلام للحكم ،
والاتضاع لنظر الحق .
الثانية : ترقب آفات النفس والعمل ، ورؤية
فضل كل ذى فضل عليك .
الثالثة : حفظ الحرمة عند المكاشفة ، وتصفية
الوقت من مزايا الخلق ، وتجريد رؤية
الفضل⁽³⁾ .

ويذكر الكاشانى أن الخشوع فى اصطلاح
الطائفة ، عبارة عن خمود النفس وهمود الطباع
، لمتعاضم أو مفزع ، والمراد بخمود النفس
موتها ، وبهمود الطباع سكونها ، والمراد بالطباع
هنا قوى النفس ، والمتعاضم من له عظمة
ومهابة فى القلوب ، والمفزع من له سطوة
تخشى ، ونقمة تتقى ، ويقسم الخشوع إلى
نوعين : خشوع العامة : بسبب الرهبة من
الوعيد ، والخوف من التهديد وخبوع
الخاصة : بسبب دواعى الحقيقة ، إلى حفظ
الحرمة مع الحق ، وتجريد القصد له وحده من
دون الخلق⁽⁴⁾ .

-
1. السابق 1/382 . 2. السابق 1/382 . 3.
نازل السائرين ص 12 وانظر أيضا مدارج السالكين 1/
558 . 4. لطائف الإعلام 1/443 .

﴿ **الخشية** : الخشية خوف يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ، ولذلك خص العلماء بها في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخُشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر/28] ⁽¹⁾ .
وعن أبي هريرة ﴿ قال : " أسرف رجل على نفسه ، فلما حضره الموت أوصى بنيه ، فقال : إذا أنا مت فأحرقوني .. فإذا هو قائم ، فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : خشيتك يا رب ، أو قال : مخافتك فغفر له بذلك " ⁽²⁾ والخشية ترد على نوعين :

(1) - خشية المخلوق وهى باعتبار المدح والذم نوعان :

أ- الخشية للممدوحة ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلِيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء/9] ، وقوله : ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف/80] وعن ابن عمر ﴿ قال رسول الله : " عن صلاة الليل مثني مثني فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى " ⁽³⁾ .

1. لسان العرب 14/228 ، المفردات ص 149 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب التوبة/ () .

الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله ،
وأشدهم له خشية " (3)

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (ص ١١١١) .
 2. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق (ص ١١١١) .
 3. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب (ص ١١١١) .
- وينظره أيضا حديث أنس بن مالك (ص ١١١١) .
 (ص ١١١١) : " أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ،
 لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج
 النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " (1) ،
 ومن حديث أبي سعيد الخدرى (ص ١١١١) : " لا
 يحقر أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله كيف
 يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمرا لله عليه
 فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز
 وجل له يوم القيامة : ما منعك أن تقول في
 كذا وكذا ، فيقول : خشية الناس ، فيقول :
 فإياي كنت أحق أن تخشى " (2) .
- (2) - خشية الخالق ، وغالبا ما تقترن بالدمع
 والبكاء ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى
 وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [عبس/9] ، وقوله
 تعالى : ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ
 مُنِيبٍ ﴾ [ق/33] وعن أبي هريرة (ص ١١١١) .
 (ص ١١١١) : " لا يلج النار ، رجل بكى من خشية
 الله ، حتى يعود اللبن في الضرع " (3) ، وعن

هدايته واكتنفته رأفته ورحمته ، ومنحه طريق محبته ، فسبيله إذا فتح عليه هذا الطريق أن يرزقه خشيته ، وإنما برزت الخشية من العلم به ، فإذا علمه القلب خشيه وإنما ينال العلم من الفتح ، فإذا فتح الله له شاهد الأشياء ببصر قلبه ، فعلمه فخشيته ، وإذا التزم القلب الخشية ، حشاه الله بالمحبة ، فيكون بالخشية معتصما مما كره الله سبحانه مهما دق أو جل ، ويكون بالمحبة منبسطا في أموره ذا شجاعة (3) ، وبين أن الله لو ترك العبد مع الخشية ، لا نقبض وعجز عن كثير من أموره ، ولو تركه مع المحبة وحدها ، لا ستبدي وتعدى ، لأن النفس تهيج بهجة المحبة ، ولكنه تبارك اسمه لطف به ، فجعل الخشية بطانته ، والمحبة ظهارته ، حتى يستقيم به قلبه ، فيرى التبسم والانطلاق والسعة في وجه

1. طبقات الصوفية ص 226 .

2. الرسالة القشيرية 1/344 .

3. ختم الأولياء ص 405 .

العبد وأموره وذلك لظهور المحبة على قلبه ، ومع ذلك في داخله أمثال الجبال خشية (1) .

ويقول في موضع آخر : (أصحاب الخشية ، هم أهل العلم بالله ، أما أصحاب الخوف فهم أرباب المشاهدة ، فمثل الأوائل كمثل

رجل فى نهر ومثل الآخرين كمثل رجل فى بحر ، ومثل صاحب الخشية ، كمن رأى أثر مخالِب الأسد على الطريق ، ومثل الخائف كمن شاهد الأسد ولقيه واقفا على الطريق ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر/ 14])⁽²⁾

ويذكر أبو نصر السراج الطوسى (ت: 387هـ) ، أن الله عز وجل حث المؤمنين على المسارعة إلى الخيرات ، فقال : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون/ 55:56] ، فاستفاد أهل الفهم من هذه الآية ، أن أول المسارعة إلى الخيرات هو التقلل من الدنيا ، وترك الاهتمام بالرزق ، والتباعد والفرار من الجمع والمنع ، باختيار القلة على الكثرة والزهد فى الدنيا على الرغبة فيها ، ثم ذكر الذين يسارع لهم فى الخيرات ووصفهم فقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ [المعارج/ 27] فوصفهم بالإشفاق من الخشية ، والخشية والإشفاق اسمان باطنان ، وهما عملان من أعمال القلب ، فالخشية سر فى القلب خفى ، والإشفاق من الخشية أخفى من الخشية ، وهو الذى ذكر الله تعالى ، فقال : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه/ 7]

2. السابق ص 41 ، ص 42 .

وقد قيل : إن الخشية انكسار القلب من دوام الانتصاب بين يدي الله تعالى ثم من بعد هذه المرتبة الشريفة ، والحال الرفيعة التي وصفهم الله تعالى بها من الخشية والإشفاق وغير ذلك ، قال : « وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ » [المؤمنون/58] وكانوا قبل الخشية والإشفاق مؤمنين بآيات الله ، فعلم أنه أراد بذلك زيادة الإيمان (1) .

ويروى عن أبي علي الدقاق (ت:410هـ) أنه قال : (الخشية من شرط العلم ، لقوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » [فاطر/28]) (2) .

ويذكر القشيري (ت:465هـ) أن الحجارة منها ما تظهر عليه آثار خشية الله ، أما القلوب إذا منيت بإعراض الحق عنها ، وخصت بانتزاع الخيرات منها فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، قال تعالى : « ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » [البقرة/74] (3) وقال أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) في بيان العلاقة بين البكاء والخشية : البكاء ثمرة الخشية ، وكل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله ،

ما أجله ما خلقه ؟ ، ثم يجعله الله شقيا أو سعيدا " (3)

ومن الخلق على معنى السلوك المكتسب ، قوله تعالى في وصف خلق النبي ﷺ [القلم/4] ، وعن البراء بن عازب ﷺ قال لجعفر : " أشبهت خلقي وخلقى " (4) ، وقالت

1. لسان العرب 10/85 ، والمفردات ص 157 .
 2. أخرجه البخارى فى كتاب الشروط () .
 3. أخرجه مسلم فى كتاب القدر () .
 4. أخرجه البخارى فى كتاب الصلح () .
- امرأة ثابت بن قيس : " يا رسول الله ، إني لا أعتب على ثابت في ديني ولا خلق ، ولكني لا أطيقه ، فقال رسول الله ﷺ : فتردين عليه حديقته ؟ قالت ﷺ : نعم " (1) ، وعن مسروق ﷺ : " إن من أخيركم أحسنكم خلقا " (2) ، ومن حديث النواصب بن سمعان الأنصاري ﷺ : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس " (3) ، وقالت عائشة رضی اللہ عنہا : " ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب " (4) ، وعن أبي ذر ﷺ : " ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ، اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة

وعبارات الصوفية في مصطلح الخلق ، تعبر في أغلبها عن الأصول القرآنية والنبوية ، فروى عن أبي عثمان المغربي (ت:373هـ) أنه قال : (حسن الخلق هو الرضا عن الله تعالى) (1) .

ويروى أيضا عن أبي سعيد الخراز (ت:279هـ) أنه قال : (الخلق هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى) (2) ، ويذكر أن سهلا بن عبد الله التستري (ت:293هـ) سئل عن حسن الخلق ؟ ، فقال : (أدناه الاحتمال ، وترك المكافأة ، والرحمة للظالم ، والاستغفار له ، والشفقة عليه ، وأن لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن ، فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه ، وفيما بينه وبين الناس) (3) ويروى عن شاه الكرمانى (ت:قبل 300هـ) أنه قال : (علامة حسن الخلق ، هو كف الأذى ، واحتمال المؤمن) (4) .

وربما يجعل بعضهم الخلق على معنى بعيد ، فيه نوع من المخالفة ، كما يروى عن أبى بكر الواسطى (ت:بعد 320هـ) أنه قال : (الخلق العظيم أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وحسن الخلق ، إرضاء الخلق في السراء والضراء ، والخلق العظيم وصف به نبينا ﷺ :

1. إحياء علوم الدين 3/57 .
 2. الرسالة القشيرية 2/495 .
 3. إحياء علوم الدين 3/57 .
 4. الرسالة القشيرية 2/496 .
- ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/4] لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله تعالى (⁽¹⁾) .
- وقوله جاد بالكونين فيه نظر ، لأنه يعنى الدنيا والآخرة ، والذي تدل عليه الأصول القرآنية والنبوية أنه ﴿ جعل الدنيا وسيلة إلى الآخرة ⁽²⁾ .

ويذكر القشيري (ت:465هـ) أن الخلق الحسن أفضل مناقب العبد ، وبه يظهر جواهر الرجال ، والإنسان مستور بخَلقه ، مشهود بخَلقه ، ويستبدل لحسن الخلق بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/4] ، ومن السنة ما روى عن أنسٍ قيل : " يا رسول الله : أى المؤمنين أفضل إيماناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً) ⁽³⁾

ويقرر أبو حامد الغزالي فى الكشف عن حقيقة الخلق الحسن ، أن الخَلق والخُلُق عبارتان مستعملتان معا ، يقال : فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر ، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من

جسد مدرك بالبصر ، ومن روح ونفس مدرك

1. إحياء علوم الدين 3/57 وانظر السابق 2/494 .
 2. انظر للتعرف على المزيد فى موقف أوائل الصوفية من الأخلاق ، الوجهة الأخلاقية للتصوف الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى للدكتور أبى اليزيد العجمى ، مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1976م .
 3. الرسالة 2/494 والحديث حسن صحيح ، أخرجه الترمذى فى كتاب الرضاع عن أبى هريرة (1162) بلفظ : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا) ، وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح 3/466 .
- بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة ، إما قبيحة وإما جميلة ، فالنفس المدركة بالبصيرة ، أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ، ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه ، إذ قال تعالى : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص/71:72] ، فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح إلى رب العالمين ، فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها

الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التي هي
المصدر خلقا شيئا⁽¹⁾ .

1. إحياء علوم الدين 3/58 وانظر للتوسع والمقارنة
المراجع الآتية : الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء
الإسلام للدكتور مصطفى حلمي ، مطبعة دار
الثقافة العربية طبعة أولى ، الفلسفة الأخلاقية في
الفكر الإسلامي ، للدكتور أحمد محمود صبحي ،
طبعة دار المعارف ، المشكلة الأخلاقية لأندريه
كريسون ، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود سنة
1946م ، فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها ، للدكتور
توفيق الطويل ، طبعة دار النهضة العربية ، طبعة
ثالثة سنة 1976م ، فى العقيدة والأخلاق للدكتور
محمد بيصار طبعة سنة 1973م ، فلسفة الأخلاق
فى الإسلام ، للدكتور محمد يوسف موسى سنة
1942م ، الأخلاق بين العقل والنقل للدكتور أبى
اليزيد أبى زيد العجمي ، مكتبة دار الثقافة العربية
سنة 1988 ، الأخلاق دراسة فلسفية دينية للدكتور
عبد الفتاح أحمد الفاوى ، طبعة مطبعة الجبلاوى ،
القاهرة سنة 1990 ، الأخلاق بين الفلسفة والإسلام
للدكتور عبد المقصود عبد الغنى ، طبعة مكتبة
الزهراء ، القاهرة سنة 1987م .

ويقسم الكاشانى الخُلُق عند الصوفية إلى أنواع⁽¹⁾ :

أ- الخلق الحسن مع الحق : وهو علم العبد أن
كل ما يأتى منه يوجب عذرا لأنه لنقصانه لا

يبدو منه إلا النقص ، وأن كل ما يأتي من الحق يوجب شكرا ، لأن الجود الكامل لا يصدر عنه إلا الجود والتفضل .

ب- الخلق الحسن مع الخلق : هو المستجمع أموراً ثلاثة وهي : بذل المعروف واحتمال الأذى وكفه ، وإنما كان كف الأذى من جملة مكارم الأخلاق لأنه لما كان العبد متمكناً من فعل الأذى وكفه ، ثم تركه من خشية الله تعالى ، كان جزاؤه أن يكتسب له حسنة .
 ح- الخلق الكامل : هو المستجمع أموراً ثلاثة ، هي العلم والجود والصبر وهذه الأوصاف الثلاثة ، هي التي لا يصح لأحد تحسين خلقه مع الحق ولا مع الخلق إلا بالاتصاف بجميعها .

د- الخلق العظيم : هو أكمل ما يمكن أن يتصف به الإنسان من مكارم الأخلاق ، ولهذا جمعها الله في نبينا محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/4] .
 ويجدر التنبيه على أن التصوف في مرحلته الأولى ، عرف بأنه دعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، كما نسب إلى أبي الحسين النوري (ت:295هـ) أنه قال : (ليس التصوف رسوماً ولا علوماً ، ولكنه أخلاق)⁽²⁾ ، وينسب أيضاً
 لمحمد

1. لطائف الإعلام 1/454:452 .

. [البقرة/254] ، وقوله تعالى : **وَإِتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** [النساء/125] ، أي جعله صفة له ،
 وخصه بكراماته ، قال ثعلب : إنما سمي الخليل خليلا ، لأن محبته تتخلل القلب ، فلا تدع فيه خليلا إلا ملأته (1) .

والخلة درجة أعلى من المحبة ، وهى ثابتة فى القرآن والسنة لنبيين اثنين ، هما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، فعن عبد الله بن مسعود **قال** : " لو كنت متخذا خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخي وصاحبي ، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا " (2) ، وعن جندب **قال** : " إني إِبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا ، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، أَلَا وَإِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنْئِي أَنهَاطِكُمْ عَنْ ذَلِكَ " (3) .

والخلة من منظور وحدة الوجود هي تحقق العبد بصفات الحق ، بحيث تخلله الحق فيكون العبد مرآة الحق ⁽³⁾ .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء/125] ، أى يخاله ويدخله فى خلال ذاته وصفاته وأفعاله ، بحيث لا يذر منها بقية ، أو يسد خلله ويقوم بدل ما يفنى منه ، عند تكميله وفقره إليه ⁽⁴⁾ .

-
1. كشف التهانوى ص 232 .
 2. لطائف الإشارات 1/367 ، 368 .
 3. معجم الكاشانى ص 179 .
 4. تفسير القرآن لابن عربى 1/289 ، وقارن مع أدب الدنيا والدين ، للماوردى طبعة مطبعة السعادة سنة 1921م ص 21 .

قال ابن عربى : (إنما سُمى الخليل خليلاً ، لتخلله وحصره جميع ما اتصف به الذات الإلهية ، قال الشاعر :

قد تخللت مسلك الروح منى : وبذا
سمى الخليل خليلاً

كما يتخلل اللون المتلون ، فيكون العرض بحيث جوهره ، ما هو المكان المتمكن ، أو لتخلل الحق وجود صورة إبراهيم ⁽¹⁾ .

لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها
 محرم " (2) ، وقال خبيب بن الأرت : " كنت مع
 رسول الله ﷺ في طريق مكة ، فأصبت خلوة
 من رسول الله ﷺ ، فدنوت منه فقال : قل أعوذ
 برب الفلق حتى ختمها ، ثم قال : قل أعوذ
 برب الناس حتى ختمها ، ثم قال : ما تعوذ
 الناس بأفضل منهما " (3) ، وقال سعد بن معاذ
 : " ... " (4) .
 - ... : كَلُوا
 وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ
 [الحاقة/24] ، وقوله : أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا
 الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ
 [البقرة/214] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ،
 عن رسول الله ﷺ قال : " إنما أجلكم في أجل
 من خلا من

1. ضعيف ، أخرجه أحمد في المسند (١٠٠٠) في سنده
 رجل مبهم ، والبيهقي في السنن الكبرى (9043)
 5/80 .

2. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد (١٠٠٠) .

3. صحيح الإسناد أخرجه النسائي في كتاب الاستعاذة
 (١٠٠٠) .

4. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى (ص ٥٥٥) .
 الأمم ، ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس (1) .
- 3- خلا من الأمر براء منه ولم يصبه ، قال : "
 يا بامرأة ، وهي تبكي عند قبر ، فقال :
 اتقي الله واصبري ، فقالت : إليك عني ،
 فإنك خلو من مصيبتى " (2) .
- 4- وخليت فلانا تركته ، يقال لكل ترك تخلية ،
 نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة/5] ، وعن
 المسور بن مخرمة قال رسول الله : " يا ويح
 قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا
 بيني وبين سائر الناس فإن أصابوني كان الذي
 أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في
 الإسلام " (3) وقال ابن عمر رضي الله عنهما : "
 رأيت على عهد النبي كأن بيدي قطعة
 إستبرق فكأنني لا أريد مكانا من الجنة إلا طارت
 إليه ورأيت كأن اثنين أتياني أرادا أن يذهبا بي
 إلى النار فتلقاهما ملك فقال لم ترع خليا عنه
 " (4) .
- 5- والمرأة الخلية المخلاة عن الزوج ، وقال
 مالك رحمه الله في الرجل يقول لامرأته : أنت
 خلية ، أو برية ، أو بائة : (إنها ثلاث تطليقات
 للمرأة التي قد دخل بها) (5) .

وإن كان أنسك به فى الخلوة ، استوت لك
 الأماكن فى الصحارى والبرارى (³) ولأبى عثمان
 المغربى (ت: 373هـ) : (من اختار الخلوة على
 الصحبة ، ينبغى أن يكون خاليا من جميع الأذكار
 إلا ذكر ربه ، وخاليا من جميع الإرادات إلا رضا
 ربه ، وخاليا من مطالبة النفس من جميع
 الأسباب ، فإن لم يكن بهذه

1. اللمع ص 277 .
 2. طبقات الصوفية ص 21 .
 3. الرسالة القشيرية ص 301 .
- الصفة فإن خلوته توقعه فى فتنة أو بلية (¹) ،
 وروى عن سهل بن عبد الله التستري (ت :
 293هـ) : (لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ، ولا
 يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله) (²) .
 ويذكر أن الجنيد بن محمد (ت : 297هـ)
 سئل عن الخلوة ؟ فقال : (إن السلامة
 مصاحبة لمن طلب السلامة ، فترك المخالفة
 وترك التطلع إلى ما أوجب العلم مفارقتة) (³) .
 وقال الحكيم الترمذى (ت : 320هـ) فى بداية
 تصوفه : (ووقع على حب الخلوة فى المنزل
 والخروج إلى الصحراء ، فكنت أطوف فى تلك
 الخربات ، فلم يزل ذلك دأبى ، وطلبت
 أصحاب صدق ، يعينوننى على ذلك فعز
 على فاعتصمت بهذه الخرابات والخلوات) (⁴) .

ويعبر الكاشاني عن هذه المعاني السابقة بقوله : (الخلوة عند الصوفية ، محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره ، هذا حقيقة الخلوة ومعناها ، وأما صورتها فهي ما يتوصل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله والانقطاع عن الغير) (5) .

1. السابق ص 300 .
 2. السابق ص 301 .
 3. اللمع ص 277 .
 4. ختم الأولياء ص 15 ، 16 .
 5. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 161 .
- والخلوة أصبحت منذ وقت مبكر إلى عصرنا ، علما على مكان مخصوص للصوفية اتخذوه رباطا ، سواء كان المكان ملحقا بالمسجد أو منفردا عنه يجتمعون فيه للحضرة الصوفية وتلاوة الأوراد والذكر ، وسماع قصائد المنشدين في مدح الأولياء والعارفين ، حتى أصبحت الخلوة مزارا للعامة والمريدين ، ومقرا للاحتفالات بالموالد والأعياد (1) .

58- الخليفة

عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه
دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم ، فامرؤ حجيج
نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم " (3) .

2- الخلافة لتشريف المستخلف أو إبتلائه ،
وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله آدم وذريته
في الأرض ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة/
30] على وجه الإبتلاء كما قال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ [الإنسان/2] ،
وقال أيضا : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي
الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ [ص/26] ، وعن
أبي سعيد الخدري ﴿ ﴾ : " ما استخلف خليفة
إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ،
وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من
عصم الله " (4) .

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج/﴿ ﴾ .
 2. أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة/﴿ ﴾ .
 3. أخرجه مسلم فى كتاب الفتن/﴿ ﴾ .
 4. أخرجه البخارى فى كتاب القدر/﴿ ﴾ .
- قال ﴿ لحذيفة : " ثم تكون دعاة الضلالة ، فإن
رأيت يومئذ خليفة الله فى الأرض فالزمه " (1)

﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ :

والخليفة فى الاصطلاح الصوفى ، يتوافق فى الأغلب مع ما سبق ، فالأوائل يعنون بالخليفة آدم وذريته ، حيث استخلفهم الله فى الأرض ، وابتلاهم فيها واستأمنهم على ملكه ، كما ذكره أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) فى شأن الأنبياء عليهم السلام ، والعلماء والصالحين من بعدهم رضى الله عنهم ، كيف ملكوا الدنيا ، وكانوا أزهد الناس فيها ؟ فبين أنهم كانوا أمناء الله تعالى فى أرضه على سره ، وعلى أمره ونهيه وعلمه ، وموضع وديعته والنصحاء له فى خلقه وبريته ، وهم الذين عقلوا عن الله تعالى أمره ونهيه ، وفهموا لماذا خلقهم وما أراد منهم ، وإلى ما يندبهم ، فسمعوا الله عز وجل يقول : **« أٰمِنُوٓا۟ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِۦ وَاٰنْفِقُوٓا۟ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِيْنَ فِيْهِ ^[الحديد/7] ثُمَّ قَالَ : **« ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَٔ فِي الْاَرْضِ مِنْۢ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ ^[يونس/14] ، فأيقن القوم أنهم وأنفسهم لله تعالى ، وكذلك ما خولهم وملكهم فإنما هو له ، غير أنهم فى دار اختبار وبلوى ، وخلقوا للاختبار والبلوى فى هذه الدار ، فمن ملك شيئاً من الدنيا ، فهو معتقد أن الشئ لله تعالى لا له ، إلا من طريق حق ما خوله الله تعالى واستخلفه ، وهو مبلى به حتى يقوم بالحق فيه ، فكانوا خزاناً لله جل ذكره ، خارجين من ملكهم فى ملكهم ، ناعمين بذكر الله وعبادته ،****

غير

1. أحمد في المسند (٥٥٥٥٥) وأبو داود (4244) وحسنه الشيخ الألباني 4/95 .
ساكنين إلى ما ملكوا ، لا يستوحشون من فقدوه
إن فقدوه ، ولا يفرحون به إن وجدوه (1) .

وقال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) :
(وللخليفة شأن فى ملك المستخلف والآدمى
هو الخلق الوحيد الذى خلق لذلك ، فقد خلق
آدم بيديه ، وعلمه الأسماء كلها ، وقد خلقنا
لمحبته ، وجعلنا موزعا لتوارد مختلف مشيئاته
واقترضنا منا الخدمة والوقوف بين يديه وتنفيذ
هذه المشيئات ، فولاية المرء قائمة على تنفيذ
أحكام الله ، فإنه إذا وفى لله بالصدق فى
سعيه إليه وواه ، حتى يرقيه إلى درجة الأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم ولاه خزائنه
وصيره من أمنائه على حكمه ، فمن ولى الله
تدبيرهم وأديهم وولاهم ولايته ، فهم أولو الأمر
وخلفاء الله صرخوا إلى الله مضطرين ،
فأجابهم وكشف السوء عنهم ، وجعلهم خلفاء
الأرض بلا إله إلا الله) (2) .

ويذكر القشيري (ت:465هـ) أن ابتداء ظهور
السر فى آدم وذريته حين قال : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » ، فلما
ركب صورته لم يكونوا رأوا مثلاً فى بديع
الصنعة وعجيب الحكمة ، فعندها ترجمت

الظنون وتقسمت القلوب وتجتت الأقاويل ،
وإنما قال للملائكة ذلك تشريفا وتخصيصا لآدم
بالخلافة (3) .

1. كتاب الصدق ص 39:32 .
 2. نوادير الأصول للحكيم الترمذى ص 382 ، 383 .
 3. لطائف الإشارات 1/74,75 .
- ولابن عربى (ت:638هـ) بلسان أهل الظاهر
حيث يشرح المعنى السابق الذى يوافق الأصول
القرآنية ، فيقول : (إن الخلافة مدرجة فى
جميع النوع الإنسانى ، كما نبه عليه سبحانه
وتعالى فى قوله : **وَأنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ
مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ** [الحديد/7] ، فهذا النوع الإنسانى
مستخلف من قبل الحق بقدر وسعه ، فأدناهم
المستخلف على نفسه ، وأكملهم المستخلف
على العالم بأسره) (1) ، ويقول أيضا : (وكما
أن الخليفة قد استخلف من استخلفه فى ماله ،
وجميع أحواله لما اتخذه وكىلا ، فاستخلاف العبد
ربه ، لما اتخذه وكىلا خلافة مطلقة ، واستخلاف
الرب عبده خلافة مقيدة ، بحسب ما تعطيه
ذاته ونشأته) (2) .

وربما يعنى ابن عربى بالخليفة فى فلسفته
أمرا آخر ينبعث من نظرتة الباطنة المغلفة
بفكره فى وحدة الوجود فمن ذلك :

(1- الخليفة هو الذى يتلقى الأمر من الله مباشرة بلا واسطة كما يتلقى الخلفاء الأمر من الرسل فى ظاهر الشرع ، فيقول : (لله فى الأرض خلائف عن الله وهم الرسل ، وأما الخلافة اليوم ، يقصد الخلافة الظاهرة ، فعن الرسل لا عن الله فإنهم ما يحكمون إلا بما شرع لهم الرسول لا يخرجون عن ذلك)⁽³⁾ ويقول فى الخلافة الباطنة عند الصوفية : (الخليفة الحق هو القطب القائم بورثة النبوة)

1. بلغة الخواص ق 23 .

2. الفتوحات المكية 3/299 .

3. فصوص الحكم 1/162 .

فالرسول ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ مات وما نص

بخلافة عنه إلى أحد ولا عينه لعلمه أن فى أمته من يأخذ الخلافة عن ربه ، فيكون خليفة عن الله مع الموافقة فى الحكم المشروع)⁽¹⁾ .

وهذا الخليفة أو كما يسميه القطب أو

الغوث ، تحت يده وزيران إمامان وهو موضع نظر الحق ، وله ما للخليفة من خصائص وحقوق وواجبات ، إذا ولاه الله سبحانه وتعالى نصب له فى حضرة المثال سريرا أقعده عليه ، فإذا نصب له ذلك السرير ، خلع عليه جميع الأسماء التى يطلبها العالم ، وتطلبه فيظهر بها حلا وزينة ، وأمر الله العالم ببيعته على السمع

والطاعة ، فيدخل في بيعته كل مأمور أعلى وأدنى إلا العالين من الملائكة والأفراد من البشر ، الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف) (2) ، وعلى هذا أصبح لكل طريقة صوفية خليفة أعظم يرجعون إليه في أمورهم (3) .

(2- الخليفة هو الله على اعتبار الوحدة ، فالعبد يستخلف ربه في دعائه عند ابن عربي لا على معنى الاستعانة والتوكل ، والله يستخلف العبد لا على معنى الابتلاء والتكليف ، ولكن على اعتبار الظهور والتعيينات ، يقول محي الدين ابن عربي : (يقول رسول الله ﷺ في دعائه ربه في سفره : " أنت الصاحب في

1. الفتوحات المكية 4/148 .
 2. بلغة الخواص ق 60 ، فصوص الحكم 1/163 .
 3. البناء الاجتماعي للطريقة الشاذلية في مصر للدكتور فاروق أحمد مصطفى ص 319 .
- السفر والخليفة في الأهل " (1) ، فما جعله خليفة في أهله ، إلا عند فقدهم إياه فينوب الله عن كل شيء ، أي يقوم فيه مقام ذلك الشيء بهويته) (2) .

ومن كلامه أيضا : (وإنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم ، لكون الله تعالى خلقه على صورته) (3) .

ح- وعن عمر بن الخطاب ؓ قال : " إن أخوف ما أخاف على أمتي ، كل منافق عليم اللسان " (1) .

د- ومن حديث محمود بن لبيد ؓ قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء " (2) .

هـ- وعن أبي الدرداء ؓ : " أن أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلون " (3) .

2- ومن الخوف المتعلق بالأمور الآخروية ، قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة/16] ، وقوله : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء/57] ، وعن أبي هريرة ؓ قال : " سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر منهم .. ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله " (4) .

1. أخرجه أحمد في المسند(٥٥٥) ، وابن حبان في صحيحه برقم (80) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري 1/281 .
2. أخرجه أحمد في المسند(٥٥٥٥) والطبراني في الكبير (4301) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (951) .

3. أخرجه أحمد في المسند (٥٥٥٥٥) والدارمي في المقدمة (211) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1582) .

4. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة (٥٥٥٥٥) .

والخوف يطلق كاصطلاح شرعى على صلاة المحارب ، فعن ابن عباس (٥٥٥٥٥) : (٥٥٥٥٥) وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة (1) .

والخوف فى الاصطلاح الصوفى ، اسم جامع لحقيقة الإيمان ، وهو علم الوجود والإيقان ، وهو سبب اجتناب كل نهى ، ومفتاح كل أمر ، وليس شئ يحرق شهوات النفوس ، فيزيل آثار آفاتهما إلا مقام الخوف (2) .

والخوف عندهم معنى يتعلق بالمستقبل ، وهو ما يحذر من المكروه فى المستأنف ، لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه ، أو يفوته محبوب ، ولا يكون هذا إلا لشئ يحصل فى المستقبل ، فأما ما يكون فى الحال موجودا ، فالخوف لا يتعلق به ، والخوف من الله تعالى ، هو أن يخاف أن يعاقبه الله ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة ، وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى :

﴿ وَخَافُونِي إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران/175] ،
وقال : ﴿ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونِي ﴾ [النحل/51] ومدح

المؤمنين بالخوف ، فقال : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل/50] وينقسم الخوف إلى نوعين⁽³⁾ :

1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (ص ٥٥٥) (ص ٥٥٥)

2. قوت القلوب 2/225 .

3. الرسالة القشيرية 1/342 ، حياة القلوب على

هامش قوت القلوب 2/183 .

أ - الخوف الواجب وهو ما يمنع من المحرمات ويحمل على القيام بالواجبات .

ب - الخوف المندوب وهو ما يمنع عن كل مكروه وعن تعاطى الشبهات .

روى عن أبى سليمان الدارانى (ت:215هـ) :

أنه قال (إذا سكن الخوف القلب أحرق

الشهوات)⁽¹⁾ ، وينسب إلى شقيق البلخى

(ت:قبل 237هـ) قوله : (من لم يكن معه ثلاثة

أشياء ، لا ينجو من النار ، الأمن والخوف

والاضطراب)⁽²⁾ ، ولذى النون المصرى (ت:

245هـ) : (إذا صح اليقين فى القلب صح

الخوف فيه ، فالخوف رقيب العمل والرجاء

شفيح المحن)⁽³⁾ .

ويروى عن يحيى بن معاذ الرازى (ت:

258هـ) أنه قال : (مسكين ابن آدم لو خاف

من النار ، كما يخاف من الفقر لدخل الجنة) (⁴ ، ويذكر أن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) سئل عن الخوف ؟ فقال : (هو توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس) (⁵) .

ويروى عن أبي على الدقاق (ت:410هـ) قال : (الخوف من شرط الإيمان وقضيته لقوله تعالى : ﴿ وَخَافُونِي إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران/ 175]) (⁶) .

1. طبقات الصوفية ص 81 .
2. السابق ص 66 .
3. السابق ص 21 ، ص 24 .
4. الرسالة القشيرية 1 / 345 .
5. السابق 1 / 346 .
6. السابق 1 / 343 .

ولما كان الخوف مما يسكن القلب ، وهو من المعانى التي لا ترى ، كانت معرفته بظهور علاماته على الخائف ، وقد ذكروا بعضا منها ⁽¹⁾ :

(1- الخائف يبصر ما هو فيه من الخير والشر

(2- ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه ، إنما الخائف من يترك ما يخاف إن يعذب عليه .

(3- علامة الخوف الحزن الدائم .

- (4- الخائف من أنزل نفسه منزلة السقيم ،
الذي يحتمى من كل شئ مخافة طول
السقام .
- (5- علامة الخوف التحير والاضطراب .
- (6- علامة الخوف قصر الأمل .
- (7- علامة الخوف دوام المراقبة فى السر
والعلانية .
- (8- علامة الخوف الورع عن الآثام ظاهرا
وباطنا .
- (9- علامة الخوف النحول فى الجسم ،
والإصفرار فى اللون ، وقد تتفتت منه
المرارة ويفضى إلى الموت .
- ويجتهد المكى فى تفصيل مقامات الخوف
دون دليل ، فيقول : الخوف اسم

1. انظر الرسالة القشيرية 1/348:342 ، واللمع فى
التصوف ص 90:89 وقوت القلوب 2/229:225 ،
ومنارات السائرين ومقامات الطائرين ص 380 ،
وإحياء علوم الدين 4/173:163 .

جامع لمقامات الخائفين ، ثم يشتمل على
خمس طبقات فى كل طبقة ثلاث مقامات (1) :

الطبقة الأولى : الخوف من الله ، الخوف من الناس ، الخوف من
الجن ، الخوف من الملائكة ، الخوف من الرسل ، الخوف من الأنبياء ، الخوف من

الآثار ، الخوف من العاقبة ، الخوف من الموت ، الخوف من الحساب ، الخوف من

...
...
...
...

60- الدعوى

... : ...
... : ...
... [/] ...
... [/] ...
... : ...
... [/] ...
... " : ...
...
... " : ...
...
... " () ...
...
... " () ...

... () ...
... () ...
... : ...
... [/] ...

... (1) ...

... (2) ...

... (3) ...

... (4) ...

١٠. المصطلح : ...

١١. المصطلح : ... / ...

المصطلح (:) ... : ...

المصطلح : ... (١)

المصطلح (:) ... : ... (١)

المصطلح (:) ... (١)

المصطلح (:) ... (١)

المصطلح (:) ... (١)

... ..
... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... .. (:)

... ..) : (

... ..

... .. : :

... .. :

... .. [/]

... ..

... .. : :

... .. ()^(١)

... ..) :

... ..

... ..

... ..

... .. ()^(١)

61- الدينيا

... (١) .

... (١) .

... [١٥/٢٠٠٠] .

... [١٥ / ٢٠٠٠] .

2- ذكر باللسان يسواء باستحضار القلب أو غيره ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب/41:42] وعن كعب بن عجرة ﴿ عن رسول الله ﴾ قال : " معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ﴿ ثلاث وثلاثون تسبيحة ﴾ وثلاث وثلاثون تحميدة ﴿ وأربع وثلاثون تكبيرة " (2) وعن أبي هريرة ﴿ قال رسول الله ﴾ : " رغم أنف رجل ذكرت عنده ﴿ فلم يصل علي " (3) ومن حديث ابن عباس

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان (763) 2/287 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد (596) 1/418 .
3. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3545) وقال الألبانى : حسن صحيح 5/550 وابن حبان فى صحيحه (908) 3/189 .

﴿ كان النبي ﴾ يدعو ويقول : " رب اجعلني لك ﴿ شكارا لك ﴿ ذكارا لك رهابا لك ﴿ مطواعا لك ﴿ مخبتا إليك ﴿ أوها منيبا " (1) .

والذكر قد يطلق على بعض المعانى الاصطلاحية الواردة فى الأصول القرآنية والنبوية منها : القرآن سماه الله ذكرا لقوله تعالى : ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾ [البقرة/274] : ﴿

المحفوظ : لما روى عن عمران بن حصين قال : " كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض " (2) وعن أبي هريرة قال : " لقي آدم موسى فقال : أنت آدم الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك الجنة ثم فعلت ؟ فقال : أنت موسى الذي كلمك الله واصطفاك برسالته وأنزل عليك التوراة ، ثم أنا أقدم أم الذكر ؟ قال : لا بل الذكر ، فحج آدم موسى فحج آدم موسى عليهما السلام " (3)

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3551) وقال الألبانى : صحيح 5/554 وأبو داود (1510) 2/83 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3192) 6/331 .
3. أخرجه أحمد فى المسند (9664) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء (3409) .
ويطلق الذكر أيضا على خطبة الجمعة والصلاة :
لما روى عن أبي هريرة قال رسول الله : " إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة ، يكتبون الأول فالأول فإذا

جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر
 " (1) لِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ : وَإِذَا قَامُوا
 إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتْمًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
 اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء/142] ولما روى عن حنظلة
 الأسيدي قال رسول الله : " والذي نفسي
 بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر
 لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم " (2)
 ، ويطلق الذكر أيضا على مجالس العلم على
 اعتبار ما فيها من ذكر الله والتعلق بطاعته ، لما
 روى عن أبي هريرة عن النبي قال : " إن
 لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يتتبعون
 مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا
 معهم وحف بعضهم بعضا بأجنتهم حتى يملئوا
 ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا
 وصعدوا إلى السماء " (3) وعن أنس بن مالك أن
 رسول الله قال : " إذا مررتم برياض الجنة
 فارتعوا قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق
 الذكر " (4)

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3211) 6/351

2. أخرجه مسلم فى كتاب التوبة (2750) 4/2106

3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر (2689) 4/2069

الله بالحب له ۞ وذلك حين عرف منه الاجتهاد فى مرضاته (²) ۞ وينسب إلى ذى النون المصرى (ت:248هـ) ۞ أنه قال : (من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شئ ۞ وحفظ الله تعالى عليه كل شئ وكان له

1. الرسالة القشيرية 2/468:464 . 2. طبقات الصوفية ص 101 .

عوضا عن كل شئ) (¹) ، ويذكر لأبى عثمان النيسابورى (ت:298هـ) أنه قال : (الذكر الكثير ۞ أن تذكره فى ذكرك له ۞ أنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله) (²) ۞ وعن أبى محمد الجيرى (ت:311هـ) أنه قال :

(ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره ، إذ ذاك يرفع ويخلص من العلل ۞ فما قارن حدث قدما ۞ إلا تلاشى وبقى الأصل وذهبت الفروع ۞ كأن لم تكن) (³) ۞ ويروى أن أبى بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) سئل عن الذكر فقال : الخروج من ميدان الغفلة إلى قضاء المشاهد ۞ على غلبة الخوف وشدة الحب له) (⁴) وعنه أيضا : (الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه) (⁵) .

وينسب لأبى العباس الدينورى (ت:بعد340هـ) : (اعلم أن أدنى الذكر أن ينسى ما دونه ، ونهاية

معين مرشد إلى إزالته شيخ عارف بأدواء النفوس ، يكون تلقينه لذلك الذكر أقوى أثرا فى إزالة ظلمة الحجب ، عندما تكون الملازمة لذلك الذكر عن حضور يدفع كل خاطر ، حتى خاطر الحق أيضا ، ويمنع كل تفرقة تخطر بالبال ، ويجعل الهم هما واحدا بحيث لا يخطر بالبال غير المذكور ، متوجها إليه بتوجه ساذج عن العقائد المقيدة ، بل على اعتقاد ما يعلم الحق نفسه بنفسه فى نفسه ، ويعلم كل شئ وعلى ما تعلم رسله وتفهمه عنه ، بحيث لا يدخل خلوة الذكر إلا وهو خال عن كل معتقد ، سوى الإيمان بما جاء

1. التعرف ص 103 .

2. لطائف الإعلام ص 468: 471

من عند الله ، على مراد الله ، وبما أخبر به رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ .

- (3- الذكر الظاهر : ويعنى به ذكر اللسان ، الذى بمداومته يحصل الخلاص من الغفلة والنسيان .
- (4- الذكر الخفى : وهو الذكر بالجنان مع سكوت اللسان .
- (5- ذكر السر : وهو ما يتجلى له من الواردات .
- (6- الذكر الشامل : يعنى به استعمال الظاهر والباطن ، فيما يقرب من الله تعالى بحيث

يكون اللسان مشغولا بالذكر ، والجوارح
بالطاعات ، والقلب بالواردات .

(-) : :
[العنكبوت/45]
والمراد به كمال المعرفة والطاعة ، قال :
أنا أعرفكم بالله وأتقاكم له " (1) ، فمن كان في
معرفته ، وطاعته على هذا الحد فهو صاحب
الذكر الأكبر .

1. لم يرد في الحديث لفظ : (أنا أعرفكم بالله) ، ولكنه
أخرجه مسلم في كتاب الصيام (1108) 2/779 عن
عمر بن أبي سلمة أنه سأل رسول الله ﷺ أيقبل
الصائم ؟ فقال له رسول الله ﷺ سل هذه ، لأمر سلمة ؟
فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك فقال : يا رسول
الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ،
فقال له رسول الله ﷺ : أما والله إني لأتقاكم لله
وأخشاكم له .

(8- الذكر الأرفع : وهو الذكر الأكبر لأنه أرفع
الأذكار ، ويسمى الذكر المرفوع أيضا ،
: :
بذكره وطاعته له ، إلى مرتبة في
الذكر لا يعلوها غيره من الخلائق .

(9- الذكر المرفوع : وهو الأرفع ، وقد يعنى بالذكر المرفوع ذكر الحق لعبده جزاء له على ذكره لربه ، كما جاء فى الكلمات القدسية أنه تعالى يقول : (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملاً ذكرته فى ملاً خير منهم)⁽¹⁾ .

(10- الذكر الحقيقى : يعنى به الذكر المنسوب إلى الذكر بالحقيقة ، فلما كانت الأفعال كلها إنما هى منسوبة إلى الحق حقيقة لا إلى العبد ، كذلك صار الذكر الحقيقى ، إنما هو الذكر المنسوب إلى الحق تعالى لا إلى العبد لأن الذكر المنسوب إلى العبد ، ليس له هذه النسبة الحقيقية ، فإن ذكر العبد ليس هو الذكر الحقيقى ، وأن الأمر فى هذا المعنى وغيره من جميع ما يضاف إلى الحق والخلق ، من باب التسمية الحقيقية والمجازية⁽²⁾ .

1. أخرجه البخارى فى التوحيد (6856) 1/2 ص 187 عن أبي هريرة ؓ قال النبي ﷺ : " يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسي وإن ذكرني فى ملاً ذكرته فى ملاً خير منهم وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " .

١٠. () / .

١١. / .

١٢. : .

١٣. .

١٤. .

١٥. .

١٦. .

١٧. .

١٨. .

١٩. .

٢٠. .

٢١. .

٢٢. .

٢٣. .

٢٤. .

٢٥. .

٢٦. .

٢٧. .

٢٨. .

٢٩. .

٣٠. .

٣١. .

٣٢. .

٣٣. .

٣٤. .

٣٥. .

٣٦. .

٣٧. .

٣٨. .

٣٩. .

٤٠. .

٤١. .

٤٢. .

٤٣. .

٤٤. .

٤٥. .

٤٦. .

٤٧. .

٤٨. .

٤٩. .

٥٠. .

٥١. .

٥٢. .

٥٣. .

٥٤. .

٥٥. .

٥٦. .

٥٧. .

٥٨. .

٥٩. .

٦٠. .

٦١. .

٦٢. .

٦٣. .

٦٤. .

٦٥. .

٦٦. .

٦٧. .

٦٨. .

٦٩. .

٧٠. .

٧١. .

٧٢. .

٧٣. .

٧٤. .

٧٥. .

٧٦. .

٧٧. .

٧٨. .

٧٩. .

٨٠. .

٨١. .

٨٢. .

٨٣. .

٨٤. .

٨٥. .

٨٦. .

٨٧. .

٨٨. .

٨٩. .

٩٠. .

٩١. .

٩٢. .

٩٣. .

٩٤. .

٩٥. .

٩٦. .

٩٧. .

٩٨. .

٩٩. .

١٠٠. .

عقل الفطرة : وهو الذى يخرج به الصبى
والرجل من صفة الجنون ، فيعقل
عقل الحجة : وهو الذى به يستحق العبد من
الله تعالى الخطاب ، فإذا بلغ الحلم يتأكد نور
العقل الذى وصف بنور التأيد ، فيؤيد عقله
عقل التجربة : وهو أنفع الثلاثة وأفضلها ، لأنه
يصير حكيما بالتجارب يعرف ما لم يكن بدليل ما
قد كان ، وهو ما قال رسول الله : " لا حكيم إلا
ذو تجربة ، ولا حليم إلا ذو عثرة " (1) .

1- عقل الفطرة : وهو الذى يخرج به الصبى
والرجل من صفة الجنون ، فيعقل

عقل الحجة : وهو الذى به يستحق العبد من
الله تعالى الخطاب ، فإذا بلغ الحلم يتأكد نور

العقل الذى وصف بنور التأيد ، فيؤيد عقله

عقل التجربة : وهو أنفع الثلاثة وأفضلها ، لأنه
يصير حكيما بالتجارب يعرف ما لم يكن بدليل ما
قد كان ، وهو ما قال رسول الله : " لا حكيم إلا
ذو تجربة ، ولا حليم إلا ذو عثرة " (1) .

2- عقل الحجة : وهو الذى به يستحق العبد من
الله تعالى الخطاب ، فإذا بلغ الحلم يتأكد نور
العقل الذى وصف بنور التأيد ، فيؤيد عقله
عقل التجربة : وهو أنفع الثلاثة وأفضلها ، لأنه
يصير حكيما بالتجارب يعرف ما لم يكن بدليل ما
قد كان ، وهو ما قال رسول الله : " لا حكيم إلا
ذو تجربة ، ولا حليم إلا ذو عثرة " (1) .

3- عقل التجربة : وهو أنفع الثلاثة وأفضلها ، لأنه
يصير حكيما بالتجارب يعرف ما لم يكن بدليل ما
قد كان ، وهو ما قال رسول الله : " لا حكيم إلا
ذو تجربة ، ولا حليم إلا ذو عثرة " (1) .

... (٥) " ...
: ...
... : ...
... (٥) ...

- : ...
... : ...
... [/] ...
: " ...
... **القدر** ...
... [/] ... (٥)

- : ...
... : ...
... [/] ...

- : ...
: ...
... [/]

. () / ...
. () / ...
. () / ...

.0 .0000 0 0000 .

.0 .00000000 0000 0 0000 .

.0 .0000 0 0000 .

.0 .0000 0 00000000 .

0000) : (000000:0) 00000000 00000000 0000 0000

00000000 0 00000000 000000 0 00000000 00 000000 00 000000

0000000000 00000000 00000000 000000 00 00000000 0000 000000

00 000000 00 000000 0000 0000 0 0000000000 00000000

000000 0 000000000 0000 0000 000000000000 00000000 000000

0000 000000 000000000000 00000000 0000 0000 0000000000

000000 0 000000 000000 0 00000000 000000 000000 0 000000

. (0) (0000 00000 000000

0000 0 00000000 0000 000000 0000 0000000000 0000 00000000

00 00000000 0000 0000000000 0000 0000 00000000 00000000 000000

00000000000 00000000 00 000000 00000000 0000000000 0 000000

00 000000 000000 0000000000 000000 0000 0 0000000000

00 00000000 000000 00 000000 00000 0000000000 0000 0 0000000000

00000000 000000 00000 00000 0 000000 00000000000 000000 00000

00000000000 00000000 00 00000000 00000 0 0000000000 00 0000 00000

00000 0000 00000000 0000 00 0000 0000000000 0000 00000000 000000

: 00000000 0000 00000 0 00000000 00000000

00 0000 : 000000 00000 0000000000 000000

0000000000 0000000000

... : ...
.....

... : ...
..... (٥)

...
...
...
.....

... .

... .

... .